مخطوطة

الأسئلة المصرية في الاعتراضات على الفتيا الحموية

المؤلف

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (ابن تيمية)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٦

من كلام الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام تقي الدين ابي العباس
احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني في اثناء كتابه المسمى
بالاسئلة المصرية في الاعتراضات على الفتيا الحموية فيما يتعلق ببيان
الحق الصريح في الاستدلال باحاديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث اشار المعترض في اعتراضاته الى القدح في
ذلك الموطن بانها اخبار لا تفيد العلم بل يفيد الظن
وذكر وجوها عن الاعتراضات بمقتضى علمه
واجتهاده في هذا الموضع ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

تم

ملك الفقير صالح بن محمد
الغلاني العمري
المسوفي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

١

الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فصل قال المعترض وأما الجواب عن الاحاديث بعد المطالبة بصحتها فمن وجوه أحدها انها اخبار آحاد لا تفيد العلم بل تفيد الظن لما عرف في الاصول والثاني انها ليست نصا في ذلك بل هي ظاهرة قابلة للتاويل والوجه الثالث قد تاول السلف كثيرا منها ومن الايات والاخبار التي لم يتاولها ابن عباس وهو حبر هذه الامة وترجمان القرآن في غير ما اية وقال اذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب قال في قوله يوم يكشف عن ساق أما سمعتم قول العرب قامت الحرب على ساق والوجه الرابع عارضتها الادلة العقلية فيجب تاويلها والله لا يشبهه شيء من مخلوقاته ولا يحل فيه حادث ولا يحل هو في حادث وعند ذلك يستحيل وصفه بالتغير والانتقال بالمحدودات وقال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وفي الطير ما يمسكهن الا الله فاذا ثبت ان الامساك الحسي غير مراد لجاز ذلك في الاصبع والاصبعان التي وردت فان صح ما ادعوا التتميم فقد جسموا الخ الجواب

اما قوله اخبار آحاد لا تفيد العلم فجوابه من ثلثة طرق بيان موافقة الاثار للقرآن وتفسيرها له وبيان وجوب قبولها وبيان صحة الاعتقاد الراجح بها الطريق الاول ان نقول الاحاديث الواردة الصحيحة في هذا الباب توافق القرآن ويعضد بعضها بعضا ويدل على ما دلت عليه وانما الحديث مع القرآن مع الحديث مع الموافق له والاية مع الاية الموافقة لها وبمنزلة موافقة القراءة المتواترة حتى قال البخاشي لما سمع الحديث القرآن قال ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وكذلك قال ورقة بن نوفل لما ذكرت له خديجة امر النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الناموس الذي كان ياتي موسى فاذا كان في القرآن ان لله علما وقدرة لذكرنا قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الاستخارة الصحيح اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم وقوله في حديث السنن اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق وبخو ذلك فهو اوكد وكذلك اذا ذكرنا قوله الصحيح لاهل الجنة لا اعطيكم ما هو افضل من ذلك احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا وقوله الا نبيا في حديث الشفاعة الصحيح ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله او ذكرنا قوله ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي وان الله يحب العبد المفتن التواب وان الله يعجب من راعي غنم على راس جبل شظية ويعجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره او ذكرنا قوله لا تقولوا ما شا الله وشا محمد ولكن قولوا ما شا الله ثم شا محمد وبخو ذلك فانما نذكر هذه الاحاديث موافقة لكتاب الله تعالى من غضبه ورضوانه ومحبته وعجبه ومشيته وغير ذلك ولهذا كان ائمة السلف يذكرون الايات وما يناسبها من الاحاديث في هذا الباب وساير ابواب العلم مثل ذكر اية الطهارة في الصيام

والحج

الجواب عن الجواب بتوقف الوهاب انها بمجموع طرقها صحيحة متواترة تفيد العلم كما تقرر في محله لمن اطلع عليها فضلا عن تضمن بعضها ما يدل على ما مضى ان طائفة من السلف تاولوا بعض الايات والاحاديث الصحيحة لما ظنوا ان العقل الصريح لا يوافق ظاهرها وقد تاولت طائفة من الخلف كثيرا من الايات والاحاديث الصحيحة لما ظنوا ان العقل الصريح لا يوافق ظاهرها وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع والله اعلم

والحج والجهاد وما يناسب ذلك من الاحاديث الذي تقرر معناه وتفسر مجمله وكذلك اذا ذكرت الايات في محبة العبد لربه وتوكله عليه واخلاصه له وخوفه ورجاءه ونحو ذلك وذكر معه الاحاديث الموافقة للقرآن في ذلك وكذلك اذا ذكر ما في القرآن من صفة المعاد والجنة والنار وما في الاحاديث مما يوافق ذلك او ذكر ما في القرآن من قصص الاولين وتذكير الله بسلفنا المؤمنين بالاية عليهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغازيهم وغيرها وذكر الاحاديث المبينة لقصص المتقدمين والمبينة لصفة مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وكذلك اذا ذكرت الايات وذكرت الاحاديث المبينة لسبب نزولها وما اريد بها معلوم بالضرورة ان هذا مما اتفق عليه المسلمون وهو احسن ما يكون من بيان القرآن والحديث فهذا نافع في تفسير القرآن الذي هو تاويله الصحيح ونافع في اثبات ما دل عليه القرآن والحديث من الاحكام الخبرية العلمية الاعتقادية والاحكام العملية الارادية ثم الاية قد تكون نصا وقد تكون ظاهرة وقد يكون فيها اجمال فالحديث يقرر النص ويكشف معناه كشفا مفصلا ويقرر المراد بالظاهر ويدفع عنه الاحتمالات ويفسر المجمل ويبينه ويوضحه ليتحقق مراد الله به وليتبين ان الرسول بين ما انزل اليه من ربه بين معناه وحروفه جميعا وانه لم يترك البيان لا المجمل ولا الظاهر ولم يوجد عند الحاجة بل قد بين ذلك احسن البيان واجله ولهذا جرت عادة ائمة السلف واتباعهم المصنفين في الابواب ان يذكروا الايات والاحاديث المناسبة في هذه الابواب وغيرها كما فعل البخاري ومن قبله ومن بعدهم من سائر الائمة فان الامام احمد واسحق بن راهويه وغيرهما يحتجون على احاديث النزول وصحة معانيها بما في القرآن من ايات المجيء والاتيان ونحو ذلك وهل ينكر ذلك من له ادنى عقل وايمان وايما احسن استدلال على معاني الكتاب بما رواه الثقات الاثبات ورثة الانبياء خلفا الرسل عن رسول الله المبلغ عن الله المبين لما انزل الله عليه وبما قاله الصحابة والتابعون وائمة الهدى وتاويل القرآن الذي هو تفسيره بهذه الطرق اولى من يوخذ تفسير القرآن وتاويله بيان معانيه من ائمة الضلال وشيوخ التجهم والاعتزال كالعلاف والنظام والمريسي ونحوهم فان هذه التفسيرات والتاويلات عنهم وعن امثالهم او نقل ذلك عن بعض اهل العربية الذي يتكلم فيه بنوع من الظن والهوى وان كان امة العربية وعلماؤها على خلافه وايما احسن استشهاد على معاني القرآن بنفس الفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاظ الصحابة والتابعين التي يستشهد بها معنى الايات على الخصوص وهو المطلوب ويعلم بها اللغة التي نزل بها القرآن وبها خاطب النبي صلى الله عليه وسلم بالنقل الصحيح الثابت او الاستشهاد على ذلك ببيت من شعر كقوله ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا

شبكة الألوكة www.alukah.net

وكقوله ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وقوله
وجوه يومئذ ناظرة الى ربها نظرا فلا حاجة الى ذكر من الشعر الذي قد
يقال فيه انه لم يرو باسناد صحيح عمن يعتمد عن قائله بل كثير من اهل صنعة الشعر يكذبه ولو
روي باسناد فمن المعلوم ان اسانيد الحديث والاثار اكثر واكبر والعلم بها اعلم واصدق وهم
اعداد لا يحصيهم الا الله فاذا لم يجز تفسير القرآن وتاويله بالالفاظ والمعاني التي هي بين
محفوظة منقولة من امام الى امام ومن عدد الى عدد افيجوز ان يرجع في معاني القرآن الى
بيت من الشعر او كلمة من الغريب لحسن احوالها ان يرويها واحد عدل عن بعض الشعراء واذا
كانت الاخبار لا تفيد علما فجميع ما يذكرونه من اللغة الغريبة والشعر المنقول بمثل ذلك دونه
ولم يعلم الله قال عربي لا يجوز ان يكون كذبا فاذا حملنا عليه كلام الله فقد قلنا على الله ما لا نعلم
وهذا معلوم بالضرورة والاتفاق من المشتغلين والثاني ان اللغة المستفادة من الشعر والغريب
الذي يعلمه الاحاد دون ما يستفاد من نقل اهل الحديث فاذا لا يفيد العلم بان العربي قاله
ولو علمنا ان العربي قاله لم يكن علمنا بمراد العربي منه الا دون علمنا بمراد الرسول والصحابة
والتابعين من الفاظهم فاذا كان هذا دون ذلك في النقل والدلالة لم يكن حمل معاني القرآن
عليه باولى من حملها على معنى الحديث والاثار بل تلك اولى من وجوه كثيرة بل لا يجوز ان يقال
هذا معنى الآية لمجرد اسناد الشعر والغريب ودلالة ذلك اذ هما لا يفيدان العلم به فيكون تفسير
القرآن بهذه الطريق قولا على الله بلا علم واذا لم يكن هذا معلوما وغيره ليس معلوما بطلت
دلالة الكتاب والسنة وسقط الاستدلال به وفهم معانيه والله امرنا بتدبره وعقله فاذا لم
يكن لنا طريق الى العلم بمعناه لا من جهة نقل الشعر والغريب ولا من جهة نقل الحديث والاثار بطل
العلم بمعناه فلا يصح الامر بتدبره وعقله وهذا خلاف القرآن ثم لو ثبت النقل عن العربي الشاعر
او الناثر وعلم انه اراد معنى بذلك اللفظ كان ذلك لغة له فقد اراد بها باللفظ فلم يكن اثبات
اللغة بمجرد هذا الاستعمال اولى من اثباتها بالاستعمال المنقول في الحديث والاثار وكما اولى
من استعمال القرآن الموجود في نظائر ذلك اللفظ فان اللفظ في القرآن يكون له نظائر ولهذا
صنف العلماء كتب الوجوه والنظائر ويروي ذلك عن السلف فالوجوه الالفاظ المشتركة
والنظائر الالفاظ المتواطئة الاول فيما اتفق لفظه واختلف معناه والثاني فيما اتفق
لفظه ومعناه فحمل معاني كلام الله على ما يوجد من اللغة في كلامه وكلام رسوله وكلام
اصحابه الذين كانوا يخاطبون بلغته والتابعين الذين اخذ واعنهم تلك اللغة اولى من حمل
معانيه على ما يوجد من اللغة في كلام بعض الشعراء والاعراب فان كل احتمال يتطرق

الى

الى فهم كلام هؤلاء يتطرق الى فهم كلام اولئك لما يقولونه فان كل احتمال يتطرق من النظم
والنثر فان المستمع لكلامهم يتطرق الى فهمه لمعانيهم اكثر مما يتطرق الى المستمع لكلام الرسول
والصحابة والتابعين فما يذكر من احتمال مجاز او اشتراك ونحو ذلك فتطرقه الى كلامهم اكثر
وهذا كله بطريق التنزل والتعريف لا في المنازع والا فالامر لاجل ما ذكرو ذلك من طريقين احدهما
بيان استقامة هذه الطريق والثاني بيان انه لا طريق يقوم مقامها فيتعين فاما
الاول فمن وجوه احدها ان النبي صلى الله عليه وسلم بين لاصحابه القرآن لفظه ومعناه
جميعا فان البيان لا يحصل بدون هذا وقد قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم وقال هذا
بيان للناس ولو خاطبهم بلفظ لم يفهموا معناه لم يكن ذلك بيانا وقد امتن عليهم في غير موضع
بكونه ارسله بلسان عربي وانه انزل كتابه بذلك فقال انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون
فهل يعقلونه اذا لم يعرفوا اللفظ وكذلك نحو يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فكيف يتذكر من
لا يفهم الكلام قال ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته اعجمي وعربي اي قرآن اعجمي
ونبي عربي او مخاطب عربي فدل على انه فصل اياته والتفصيل التبيين المنافي للاجمال فلو كانت
اياته مجملة لم يفهم معناها لم تكن اياته قد فصلت والتفصيل انما يكون للبيان والتعبير الذي يزول
معه الاشتباه والاشتراك والاجمال المنافي لفهم المراد بالخطاب وان كان المعنى المفهوم قد يحصل
بينه وبين معنى آخر مشابهة ومشاركة يمنع ادراك حقيقته التي لا يفهم مجرد اللفظ وقد قال
الله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين واذا كان المخاطبون لم يفهموا معنى كلامه لم يكن
قد بلغهم بلاغا مبينا ومن قال ذلك فلم يشهد له بالبلاغ وهذا حال هؤلاء الذين يزعمون انا لم نعرف
من جهته معاني القرآن فانهم يقولون لم يبين ولم يبلغ وان كانوا لا يقولون ما يستلزم ذلك ولم يفهموه
فغيرهم من يعرف انه حقيقة قولهم ويقول ان معاني هذه الالفاظ لم يبينها اصلا ان المصلحة كانت
كتمانها واما انه هو لا يعرفها فمن الزيادة من يقول هذا او مقصر من يقول هذا واما الذين شاهدوه
فقد شهدوا له بالبلاغ ونحن نشهد بما شهد به اخواننا الذين سبقونا بالايمان فانه بلغ البلاغ المبين
وعبد الله حتى اتاه اليقين صلى الله عليه وعلى الماجدين ولهذا قال ابو عبد الرحمن السلمي
احد الكبار التابعين حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عثمان
ابن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر ايات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل واذا علم ان الصحابة اخذوا
عن الرسول لفظ القرآن ومعناه بل كانوا يأخذون عنه المعاني مجردة عن الفاظه بالفاظ اخر
كما قال جندب بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عمر تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا

الألوكة
www.alukah.net

فكان يعلمهم الايمان وهو المعاني التي نزل بها القران من الماموريه والمخبر عنه المتلقي
بالطاعة والتصديق وهذا حق فان حفاظ القران كانوا اقل من عموم المومنين فعلم
ان بيان معانيه لهم كان اعم من بيان الفاظه ومن هذا الباب صاروا يروون عنه الاحاديث
التي ليست الفاظها الفاظ القران لانه كان يبين لهم معاني كثيرة بغير الفاظ القران وذلك
هو حديثه فاذا كان الصحابة قد تنازعوا عن شيء لفظ القران ومعناه لم يحتاجوا بعد ذلك
الى لغة احد فالمنقول عن الصحابة من معاني القران كاف في ذلك كالمنقول عنهم من
حروفه سواء سواء وان تنازع بعضهم في بعض معانيه فذلك كما قد يتنازعون في بعض
حروفه وكما قد يتنازعون ايضا في بعض السنة لخفايها عن بعضهم اذ لم يكن كل منهم يتلقى من نفس
الرسول جميع القران وجميع السنة بل كان بعضهم يبلغ بعضا للقران لفظه ومعناه وللسنة
كما قال البراء بن عازب ليس كل ما نحدثكم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
كان لا يكذب بعضنا بعضا ولهذا ما يذكره ابن عباس من الحديث في القران والسنة تارة يذكر من
سمعه من الصحابة وتارة يرسله لكثرة من سمعه منه وبعض ذلك قد سمعه منه فاما
ما كان قبل الهجرة من امر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وما نزل فيه من القران من ذلك
فلم يشهده فان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وابن عباس مراهق وكان عند الهجرة صغيرا
جدا الوجه الثاني انه تعالى انزل على نبيه الحكمة كما انزل عليه القران وامتن بذلك
على المومنين وامر ان واجه بذكر ذلك وقد بلغ ذلك الصحابة كما بلغهم القران فلا يحتاجون في
ذلك الى لحد والحكمة هي السنة كما قال ذلك غير واحد من السلف وهو ذلك انه قال واذكرن
ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة فما يتلى غير القران في بيوتهن هو السنة اذ المراد
بالسنة هنا هو ما المخبر عن الرسول سوى القران كما قال في غير حديث الا اني اوتيت الكتاب
ومثله معه وفي لفظ الا انه مثل القران واكثر ولهذا ذم المتكئ عن طلب السنة الممكتفي بالقران
فقال لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
بيننا وبينكم هذا القران فما وجدنا من حلال احللناه وما وجدنا من حرام حرمناه الا واني
اوتيت الكتاب ومثله معه وهذا المعنى قد استفاض عنه من وجوه متعددة من حديث
المقدام بن معدي كرب وابي ثعلبة الخشني وابو هريرة وابي رافع وغيرهم وهو من مشاهير
احاديث السنن واسانيد المتلقاة بالقبول عند اهل العلم الوجه الثالث ان بعض الناس
لو قرا مصنفات الناس الطبية النحوية الفقهية والاصولية او لو قرا بعض قصايد الشعر لكان
من احرص الناس على فهم معنى ذلك ولكان من اثقل الامور عليه قراءة كلام لا يفهمه فاذا

فهموا

كان

كان السابقون يعلمون ان هذا كلام الله كتابه الذي انزل اليهم وهداهم به وامرهم باتباعه
افلا يكونون من احرص الناس على فهمه ومعرفة معناه من جملة العادة العامة وعادتهم الخاصة
ومن حمية دينهم وما امرهم الله به من ذلك ولم يكن الصحابة كتاب يدرسونه وكلام محفوظ
يتفهمون فيه يكتفون به الا القران لم يكن الامر عندهم مثل ما هو في المتاخرين ان قوما يقرون القران
ولا يفهمونه واخرون يتفقهون في كلام الاخرين واخرون يشتغلون بعلوم اخر بل كان القران عندهم
اهل العلم المحفوظ وذلك اسم معروف لهم وهو هذا مما يوجب العلم بحرصهم على فهم معناه واذا
كانوا حراصا والرسول بين اظهرهم فمن الممتنع ان يكونوا يرجعون الى غيره في بيان معانيه وتفصيل
مجمله وبيان متشابهه فعلم انهم اخذوا عن الرسول بيان معاني ايات القران التي يقال انها
مشكلة او مجملة الوجه الرابع ان اصحابه المعروفين هم الذين نزل القران بلغتهم فان لغات العرب
وان اشتركت في جنس العربية فبينهما افتراق في مواضع كثيرة والنبي صلى الله عليه وسلم
لما خاطب اهل اليمن كتب اليهم بلغة هي عربية بالنسبة الى لغة قريش والقران نزل بلغة قريش
وبخوهم من اهل الحاضرة والبادية واليمن خواص اصحابه فلا يحتاجون في معرفة لغتهم
وعادتهم في خطابهم الى شعر شاعر غيرهم فضلا عمن يكون حديث عهدهم الوجه الخامس
ان الصحابة سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم من الاحاديث الكثيرة ورأوا منه من
الاحوال وعلموا بقلوبهم من الامور ما يوجب لهم من فهم مراده بكلامه ما يتعذر على من بعدهم
فليس من سمع ورأى وعلم حال المتكلم كمن كان غائبا ولم يره ولم يسمع منه ولكن علم بعض
احواله وسمع بواسطة واذا كان الصحابة سمعوا لفظه وعرفوا معناه كان الرجوع اليهم في ذلك
واجبا متعينا ولم يحتج مع ذلك الى غيرهم ولهذا قال الامام احمد اصول السنة عندنا التمسك
بما كان عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كان اعتقاد الفرقة الناجية هو ما
كان عليه واصحابه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة الفرقة الناجية هو ما كان علي مثل
ما انا عليه واصحابي او قال ما انا عليه اليوم واصحابي فثبت بهذه الوجوه القاطعة ان الرجوع
في تفسير القران اليهم الذي هو تاويله الصحيح المبين لمراد الله تعالى به الى الصحابة هو الطريق
الصحيح المستقيم وان ما سوى هذا ان يحيط بصاحبه واما ان يكون دونه في الاصابة ولهذا نص
الامام احمد على انه يرجع الى قول احد من الصحابة في تفسير القران اذا لم يخالفه منهم احد ثم من
اصحابه من يقول هذا قول واحد وان كان في الرجوع في الفتيا الى الاحكام اليه روايتان ومنهم
من يقول الخلاف في الموضعين واحد ثم يعلم ان الصحابة اذا كانوا لحفظهم اقالوا يعرفون لهم باحسان
الذين اخذوا عنهم ونقلوا منهم لا يجوز ان يكونوا لحدوا في ذلك مما يعلمهم اياه الصحابة لا يجوز ذلك في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في العادة العامة ولا في عادة القوم ومعارف من عقلهم ودينهم مع ما علموه من وجوب ذلك
عليهم في دينهم فاذا كان هذا يوجب الرجوع الى الصحابة والتابعين فكيف بالاحاديث الصحيحة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الطريق الثاني فمن وجوه احدها
ان نقول لم نرجع الى الصحابة والتابعين في نقل معاني القرآن وما فيها كما رجع اليهم في نقل حروفه
والى لغتهم وعاداتهم فيحتاط بهم فلا بد ان يرجع في ذلك الى لغة ماخوذة عن غيرهم لان فهم
الكلام موقوف على معرفة اللغة وغايته ان يباشر عمر بما غيرهم فيسمع لغتهم ويعرف مقاصدهم
ويقيس معاني الفاظ القرآن على معاني تلك الالفاظ وهذا انما يصح اذا سلم اللفظ من كلام
العربي هذا ويسلم في القرآن ايضا من احتمال المعاني المختلفة لمجاز واشتراك والا فمتى كان اللفظ
من احدهما دون الآخر دالا على معنى آخر بطريق الاشتراك والمجاز لم يكن المراد من احد المتكلمين
به مثل المراد به من المتكلم الآخر فغايته فيه القياس وهو موقوف على اتحاد معنى اللفظين
ثم من المعلوم ان جنس ما دل على القرآن ليس من جنس ما يخاطب به الناس في عاداتهم فان
كان بينهما قدر مشترك فان الرسول جاءهم بمعان غيبية لم يكونوا يعرفونها وامرهم بافعال لم
يكونوا يعرفونها فاذا عبر عنها بلغتهم كان بين ما عناه وبين معاني تلك الالفاظ قدر مشترك ولم
تكن مساوية لها بل تلك الزيادة التي هي من خصائص النبوة لا يعرف الا منه فعلم ان عامة من
ياخذ معاني القرآن من اللغة التي سمعها من العرب العربا وباشرهم فيها ان يكون قاصرا قياسا
يحتمل الضد وان يكون مافاته من الفارق اعظم مما ادركه بالجامع وهذا برهان واضح ولهذا
كانوا يقولون ما ذكره عبد الرزاق في تفسيره عن ابن عباس انه قال التفسير على اربعة اوجه تفسير
تعرفه العرب من كلامها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعذر احد بجهله وتفسير لا يعلمه الا الله
ومن ادعى علمه فقد كذب الوجه الثاني ان الدرجة الثانية ان تسمع اللغة ممن نقل الالفاظ
عن العرب نظما ونثرا فعلما تقدي نقل الحديث من الافات فهو هنا اكثر وهذا امر معلوم لمن كان
خبيرا بالواقع فيكون نقل الالفاظ اللغة ثم معرفة مرادهم من تلك الالفاظ يرد عليه اكثر مما يرد على معرفة
مراد الرسول لان معرفة مراد الرسول توفرت على الهمم والدواعي وصانه الله فهو محفوظ
بحفظ الله ثم بالعادة العامة والخاصة اكثر من معرفة مراد شاعر مادح او راث او هاج او عتب
او واصف ناقة او امراة او فلاة او مفتخر الوجه الثالث ان الدرجة الثالثة ان يسمع اللغة
ممن سمع الالفاظ وذكر انه فهم معناها من العرب كالاصمعي فيما سمعه من الاعراب وذكر
انه فهم معناه ومن هذا الباب كتب اللغة الذين يذكرون فيها معاني كلام العرب بالفاظهم
المصنفين ومعلوم ان هذا يرد على اكثر مما يرد على من سمع الكلام النبوي من صاحبه

وقال

وقال انه فهم معناه وبينه لنا بعبارته الوجه الرابع ان يقال له كلام هؤلاء الذين ذكروا
انهم سمعوا كلام العرب ومن المعلوم انه يرد على هذا من الاسولة اكثر مما يرد على
نقل الحديث الوجه الخامس ان الدرجة الخامسة ان يعلم اللغة بقياس عربي او تقريبي
فقد يخفى تخصيص لمعارض راجح وقد يكون فيه فرق لم يتفطن له واضع القياس القانوني
ومن المعلوم ان هذا يرد عليه اكثر مما يرد على من نقل المعاني الشرعية من القواعد
الكلية التي وضعها الفقهاء واذا كان الامر كذلك فمن لم ياخذ معاني الكتاب والسنة من
الصحابة والتابعين ومن اخذ عنهم لم يكن له طريق الا صلا الا ما يرد عليه من الافات
اضعاف ما يرد على هذه الطريق فلا يجوز له ترجيح غيرها عليها فيكون احد الامرين
لازما له اما ان يستدل الذي ادنى بالذي هو خير ويعدل عن الطريق التي فيها من العلوم
اليقينية والامور الايمانية والاعتقادات الراجحة والظنون الغالبة ما لا يوجد في
غيرها الى ما هو دونها في ذلك كله بل يستبدل باليقين شكا وبالظن الراجح وهما ويستبدل
بالايمان كفرا وبالهدى ضلالة وبالعلم جهلا وبالبيان عيا وبالعدل ظلما وبالصدق كذبا
وبالايمان بكتب الله وكلماته تحريفا عن مواضعها واما ان يقر من ذلك كله ولا يجعل
للقرآن معنى مفهوما وقد قال الله تعالى انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون فلا يعقله
وقال افلا يتدبرون القرآن فلا يتدبره وقال ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب فلا يتدبره
ولا يتذكر وقال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون فلا يكون من
العالمين العاقلين لها واذا سلك هذا المسلك استطار شره وتعدى ضرره فيلزم
تعطيل معاني الكتاب والسنة وفتور الرسالة اذ الرسول الذي لم يبين بمنزلة عدم
الرسول والكلام الذي بلغه الرسول ولم يعقل معناه يدخل في جملة الاصوات المسموعة
التي ليس فيها حرف مبينة للمعاني وقد ذم الله تعالى من كان حاله في كتابه هكذا وجعلهم
كفارا بمنزلة الاموات وجعل من سمع كلامه فعقله ووعاه وجعل ذلك صفة المومن الحي فقال
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون وقال
تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا وقال تعالى افلا يتدبرون
القرآن ام على قلوب اقفالها وقال تعالى انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله
ثم اليه يرجعون وقال تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي وقال تعالى ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وقال تعالى ومنهم من يستمعون اليك حتى اذا خرجوا
من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا

هوى

اهواهم وقال تعالي وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا واذا كان
من عدل عما فسر به رسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه والتابعون القرآن فاحد الامرين
لازم له اما ان يعدل الي تفسيره بما هو دون ذلك فيكون محرفا للكلم عن مواضعه واما ان يبقي
امم ابكم لا يسمع من كلام الله ورسوله الا الصوت المجرد الذي يشترك فيه البهايم ولا يعقله وكل
من هذين الامرين باطل محرم يثبت بتعين الطريق النبوية السلفية وبطلان الطريقة
التحريفية والامية فالتحريفية لها الجهل المركب والكفر المركب والامية لها الجهل البسيط
والكفر البسيط وقد ذم الله تعالي الطريقتين في القرآن فقال تعالي في الاولي افتطمعون
ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم
يعلمون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الي بعض قالوا اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فهذه الطريقة المذمومة التي سلكها علماء اليهود واشباههم في انهم يحرفون
كلام الله او يكتمونه ليلا يحتج عليهم في خلاف اهوايهم فمن عدل الي نصوص الكتاب والسنة
فحرفها او كتمها ففيه شبه من هولاء كما تجد ذلك في كثير من اهل الاهواء يكتم ما انزل الله
تعالي من الكتاب والسنة عمن يحتج بها علي خلاف هواه فيغل الكتب المسطورة عن
النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه والتابعين ويمنع تبليغ الاحاديث النبوية وتفسير القرآن
المنقول ولو قدر علي منع القرآن لفعل وما ظهر من ذلك حرفه عن مواضعه بتاويله علي
غير تاويله ثم يعدون الي كتب يضعونها اما منقولات موضوعة عن النبي صلي الله عليه وسلم
واصحابه والائمة فكم عند اهل الاهواء من الاثار المكذوبة ويقولون هذه منزلة من عند
الله تعالي اذ ما جاء به النبي فهو من عند الله او يضعون كلاما ابتدعوه او رايا اخترعوه
ويسمونه مع ما وضعوه من المنقولات دين الله واصول دينه وشرع الله والحق
الذي اوجبه الله واكثرهم علي ذلك اعواضا من مال او رياسة فعليهم شبه من الذين
قال الله فيهم فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون ولا ريب ان غالبهم ليس مثل
اليهود اذ لا يكون الا من كان كافرا محضا لكن فيهم من الشبه بهم بقدر ما شاركوهم
فيما ذمهم الله تعالي عليه وقد يكون في الشخص او الطائفة بعض المذموم من الخصال
والافعال التي هي مما ذم الله تعالي عليه اهل الكفر والنفاق وان كان فيه ايضا ما يحمد
عليه من الايمان هذه صفة من حرف التنزيل او كتمه او استدل به ما وضعه

وابتداعه واما الاعراض عن الكلام في معناه بالكلية فقال قال تعالي ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
الا اماني وان هم الا يظنون ولا اماني التلاوة والقراءة فهم لا يعلمون الا مجرد تلاوة وقراءته
بالسنتهم يتهجون حروفه ويضعون حدوده علما وعملا لا يعرفونها ولا يعلمون بها فهذه
اربعة امور ذمها الله تعالي تحريف ما انزل الله وكتمانه وكتابة ما ينسب اليه مما يخالفه
والاعراض عن تدبر كلامه فمن الناس من يجمع الاربعة وهم روس اهل البدع وائمتهم الذين
وصفوا مذاهب تخالف الكتاب والسنة وجعلوها من دين الله واصول الدين لو فروعه
التي اوجب الله قولها واعتقادها وقالوا عن الله ان الله امر بهذا القول والاعتقاد وهذا
العمل والاعتقاد فاخبارهم عن الله بايجاب ذلك واعظم سخطا بما عظم من مجرد اخبارهم عنه بان
ذلك جايز عند الله اذ قد يجيء من عند الله ما لا يجب علينا به عمل لكونه منسوخا او لكونه خبرا
لا يجب علينا به عمل ونحو ذلك وتحريفهم لنصوص الكتاب والسنة ظاهر وكذلك كتمانهم
ما يحتج به اهل الايمان عليهم من الاثار المعروفة والكتب المنقولة نقلا صحيحا ثم ان هولاء
لهم حالان تارة يرون تحريف النصوص علي وفق اراءهم ويسمون ذلك تاويلا وتارة يرون
الاعراض عن تدبرها وعقلها ويسمونه تفويضا فهم بين التحريف والامية منهم من يوجب
هذا ومنهم من يوجب هذا ومنهم من يستحب هذا ومنهم من يستحب هذا ومنهم من يوجب
او يستحب هذه الطايفة وهذه الطايفة اوهذا في حال وهذا في حال وكثير من الناس لا
يجمع هذه الصفات الاربعة المذمومة بل يكون منها خصلة او خصلتان اما الامية فاما
التحريف واما الكتمان او غير ذلك ثم من كان مومنا لا يكون هذا حاله في جميع القرآن لكن
في بعضه او في كثير منه كما عليه طوايف من اهل الكلام ومن اتبعهم وربما فعل ذلك
في اكثر القرآن كحال الفلاسفة من القرامطة والباطنية ونحوهم ثم اعلم ان طريقة التحريف
لا تسلك ابتداء الان تفسير الكلام بخلاف مقتضاه لا يقبله القلب لا بموجب بل يسلك
اولا الطريقة الكلام والكتاب المضاف الي الدين وليس منه وهو ما يسمونه المعقولات
التي هي المجهولات ويجعلون ذلك هو الاعتقاد واصول الدين التي امر الله بها والحكمة
الحقيقية والعلوم اليقينية التي ينبغي للفضلا تحصيلها ويصدون الناس عن القرآن
بالطريق الامية ويتفاوضون فيما بينهم بطريقة التحريف ولهذا يقررون ان الادلة
اللفظية لا تفيد اليقين فان هذا يمنعه ما امر الله به من عقله وتدبره وتذكره والتفكر فيه
ويجعل الطريقة الاميه حجة اذ كان ذلك لا يفيد علما ويقينا وطريقة التحريف تقابل فيها
الاحتمالات فانه اذا لم يكن اني اعلم بالمراد سبيل يتعين الاعراض عن مراد القرآن وهي الطريقة

الألوكة
www.alukah.net

الامية قال الله تعالى وان هم الا يظنون ليس لهم بذلك من علم ومما يجب ان يعلم ان من اعظم
ابواب الصد عن سبيل الله واطفاء نور الله والالحاد في آيات الله وابطال رسالة الله دعوى
كون القرآن لا يفهم معناه ولا طريق لنا الى العلم بمعناه او لا سبيل الى ذلك الا الطرق الظنية ولهذا
يسلك هذا الطريق من نافق هنا من المتكلمة والمتفلسفة ونحوهم فانهم اذا انسد عليهم باب
الرسالة والاخذ منها رجع كل منهم الى ما يوحيه الشيطان اليه وان الشياطين ليوحون الى
اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون ثم القرآن اما ان يحرفوه فيكونون في معناه
منافقين يظهرون الايمان بلفظه وهم بمعناه كافرون واما ان يعرضوا عن معناه فيكونوا به كافرين
كما قال تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك
اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى والنسيان تركها والاعراض عنها وكذلك ترك استماعها وترك
تدبرها وفهمها وترك الايمان بها والعمل بها كل ذلك من نسيانها وقراءة مجرد حروفها وحفظها او مجرد
استماع مجرد صوت القارئ بها لا يمنع النسيان المذموم فلا بد من الايمان الذي يتضمن معرفتها
والعمل بها هذا وان لم يكن واجبا على كل احد في كل آية على سبيل التفصيل لكن الايمان بالله اوجب
مجموع هذا على مجموع الامة فمن كان يريد ان الله الذي امر الله به ان تكون الامة كلها امة
لا تعقل معاني الكتاب واما ان يكون فيها من يحرفه بالتاويلات المبتدعة فهو ممن يدعوا الى
الاعراض عن معاني كتاب الله ونسيانها ولهذا صار هو لا ينسون معانيه حقيقة كما ينسى اللفظ
فلا يخطر ببالهم بهم المعنى الذي اراده الله ولا يتذكرونه وهذا نسيان حقيقي لمعاني كتاب الله
وان كان فيهم من يحفظ حروفه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي
والدارمي وغيرهما هذا او ان يقبض العلم فقال زياد بن لبيد يا رسول الله كيف يقبض وقد قرأنا القرآن
فوالله لنقرأنه ولنقرئنه ابناءنا ونساءنا فقال ان كنت لاحسبك من افقه اهل المدينة اوليست
التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فما اغنت عنهم بين صلى الله عليه وسلم ان وجود الكتب
المسطورة والحروف المسموعة المقروءة بالاصوات المسموعة لا تغني من العلم شيئا اذا لم يقترن
بها فهمه وفقهه ومعرفته ولهذا قال عبد الله بن مسعود انكم في زمان كثير فقهاؤه قليل
قراؤه وفي رواية كثير فقهاؤه قليل خطباؤه كثير مقطوعة قليل مسايلوه وسيأتي عليكم زمان كثير
قراؤه او خطباؤه قليل فقهاؤه قليل معطوه كثير مسايلوه فبين ان الزمان المحمود هو الذي يكون
فقهاؤه يفقهون معاني القراءة والخطاب ما كثرة من يقرأ القول ويتكلم بالخطاب بلا فقه فان ذلك
مذموم وقد ذكر هذا في نعت ابنا الدين ثم قال في نعت ابنا الدنيا ان المحمود كثرة المعطي وقلة السايل لا

كثرة

كثرة السايل وقلة المعطي فعلم ان ما اوجب ترك فقه القرآن فهو مذموم فكيف بما
اوجب تحريفه وتبديله واعلم انه كما حرف من حرف من المنتسبين الى العلم كثيرا
من معاني القرآن وجعلوا ذلك هو فقهه وفهمه ومعرفة معانيه في اصول
دينهم وفروعه وضموا من الكلام الذي ابتدعوه والكتب الذي كتبوها بايديهم وجعلوها
مأمورا بها من عند الله او مأثورا عن عند الله وكثر هو كاكبر امرهم صار اخرون من
المؤمنين الذين علموا بطلان ما ابتدعوه او تحريم ما قالوه وكتبوه ينهون عن ذلك كما
امر الله ورسوله وينهون عما ابتدعوه من التاويل الذي هو تحريف الكلم عن مواضعه
ويقولون هذا بدعة وضلالة والسلف لم يتاولوا هذه التاويلات وراى اولئك ان في
هذه التاويلات من الفساد ما لا تقبله العقول والقلوب من الاختلاف ما يوجب الافتراق
والشقاق وضعف اولئك المؤمنون عن تحقيق الايمان بمعاني القرآن اما في بواطنهم
لما عارضوهم به من الشبهات واما في ظواهرهم لما قاموا به من المجادلات والمحالات دخل
الفريقان الى الطريقة الامية المتضمنة الاعراض عن معاني كثير من القرآن وصار ممن
يرى هذه الفرق والافتراق بعيدا قلبه عن تدبر القرآن وفهمه ومعرفة الحديث وعلمه
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول راءيت المنافقين يصدون عنك صدودا
خوفا من شبهات المنافقين التي يوحيها شياطين انسهم وجنهم الى قلبه او خوفا منهم
في الظاهر وهذا الثاني يعذر واما الاول فلا يعذر اذ يجب على المؤمن الايمان في قلبه في
كل حال ويكون في المنكر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فليغيره بيده
فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وليس يتكر المنكر بقلبه
من لا يعرف انه منكر فالعلم قبل الحب والبغض والايمان بالقرآن لفظه ومعناه واجب
ومحبة لفظه ومعناه ولحب وانكار ما خالفه ولو بالقلب واجب لكن يعذر المؤمن بعجزه
فالقلب كاليدين فمن عجز عن معرفته فهو كالعاجز عن حفظ حروفه ويسقط عنه خطاب
الايمان بذلك ويخاطب به القادرون لكن لا يكاد يعجز مثل هذا ان يعلم اي القولين او
القايلين اولى بالايمان بالله ورسوله فعليه ان يكون مع اهل الايمان بحسب امكانهم
وان ابتلي بمخالفة الفاجر خالفه وهذا الذي ذكرته بين لمن تدبره ولا حول ولا
قوة الا بالله فان الله تعالى انزل كتابه ليعقل ويتدبر وتتبع المعاني اشرف من الالفاظ
والكمال المقصود بالالفاظ وهي معها كالارواح مع الاجساد فاللفظ بلا معنى جسم بلا
روح ومن لم يعلم من الكلام الا لفظه فهو مثل من لم يعلم من الرسول الا جسمه ومن لم

انتهى

الألوكة
www.alukah.net

من الصلاة لا حركة البدن بالقيام والقعود والركوع والسجود ولهذا قال تعالى
ليس البران تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الاية وقد روي في حديث ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال انما هلك بنو اسرائيل حين شهدت احبارهم وغابت
قلوبهم ولهذا قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد
قالوا شاهد القلب غير غائبه ولهذا ذم العلماء الراسخون والمؤمنون الصادقون لمن
اقتصر في اعجاز القرآن على ما فيه من الاعجاز من جهة لفظه او تاليفه او اسلوبه
وقالوا هذا وان كان معجزا فنسبته الى ما في معانيه من الاعجاز نسبة الجسد الى
الروح ومحاسن الخلق الى محاسن الخلق وهو يشبه من عظم النبي صلى الله عليه
وسلم بمحاسن خلقه وبدنه ولم يعلم ما شرف الله به قلبه الذي هو اشرف القلوب
ونفسه التي هي ازكى النفوس من الامور التي تفحز القلوب والالسنة عن كمال
معرفتها وصفتها كما قال ابن مسعود ان الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب
محمد خير القلوب فاصطفاه لرسالته ثم نظر في قلوب اصحابه بعد قلبه فوجد قلوبهم
خير القلوب فاختارهم لصحبة نبيه واقامة دينه واظنه فيما وفي غيره فما راه المسلمون
حسنا فهو عند الله حسن وما راه المسلمون سيا فهو عند الله سيء وقال من كان
منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم ابر هذه الامة قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه
واقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم وهذا
القدر الذي ذكرناه من ان المقصود بالقرآن معانيه ومن ذم المعرض عن معناه هو اجل
في نفسه واظهر معرفة من ان يحتاج الى بسط فاذا كان كذلك فمن اعرض عن معناه
بالكلية فهو معرض عن البر المقصود منه ومن اعرض عن معاني كثير منها فهو معرض
عن كثير منه فاذا كان يامر بذلك الاعراض ويرغب فيه فهو امر بالاعراض عن القرآن
وامر بنسيانه وتركه ومعلوم ان هذا كفر صريح واذا كان يقول انه ليس بمعرض عن
معناه ويتاوله على غير تاويله ويقول هذه معانيه وياتي بمعان تضاد معانيه فهو
منافق كاذب بمنزلة من يقول انا اومن بحروفه واتي بكلام ليس هو القرآن وقال
هذا هو القرآن فهو منافق كاذب ولهذا كان اضر ولحنث فان الاول بمنزلة الكافر
المعرض عن المسلمين والثاني بمنزلة المنافق الذي اظهر الايمان وفعل في المسلمين ما
ينافي الايمان ولهذا كان مبدا هذه البدع الكبار مثل الرفض والتجهم وكذلك

من

من منافقين زنادقة ابطنوا الكفر واظهروا الاسلام وجاء في الحديث من غير وجه ان اخوف
ما اخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وائمة مضلون وهذه الامور الثلاثة تتفق
في الامور الخبرية والعلمية جميعا فان الامور الخبرية قد يزل بعض العلماء فيها بالمتاول الذي
هو تفسير اية او حديث او في الحكم على مضمون ذلك باثبات او نفي يخالف مضمون النص
وهذا كثير وقد كان كثير من اهل البدع منافقين حقيقة يجادلون الناس بالقرآن ويستدلون
بالتاويلات التي ابتدعوها ويريدون بمقاييسهم الفاسدة بشواهد ذكر من غريب
اللغة ونادرها والائمة المضلون من الامراء والعلماء والمشايخ والملوك الامرون بخلاف
ما امر الله به ورسوله والناهي عما امر الله به ورسوله والمخبرين بخلاف ما اخبر الله
به ورسوله ففيهم الكذب في خبرهم والظلم في امرهم وعلمهم ولهذا قال فيهم النبي صلى الله
عليهم وسلم في الحديث الذي رواه اهل السنن انه قال لكعب بن عجرة اعيذك بالله من
امارة السفهاء قال وما ذاك يا رسول الله قال امراء يكونون من بعدي من دخل عليهم فصدقهم
بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليسوا مني ولست منهم ولن يرد واعلي الحوض ومن لم يدخل
عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فاولئك مني وساريد ون علي الحوض فهذا
الكلام قليل من كثير بينت به ان من عدل عن تفسير الصحابة وما رووه عن النبي صلى
الله عليه وسلم في ذلك اما ساء لكا اخرى الى فهم القرآن او مرض عن الجميع فلا بد له من الجهل
والضلال والافك والمحال وهو على شفا جرف هار يودي به الى الكفر والنفاق فان انهاره وقع
في نار جهنم وصار من اهل الحراب والشقاق ومن شاق الله ورسوله فان الله شديد العقاب
ولهذا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او
تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة
عذاب عظيم ولهذا ما زال كل ذي عقل ودين يردون علم معاني الكتاب والسنة الى العلماء والفقهاء
فيه الذين تلقت طبقة بعد طبقة ميراثا محفوظا كما قال فيهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب في
خطبته التي رويناها عنه كميل بن زياد احفظ ما اقول لك القلوب اوعية فخيرها اوعاها
الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل صائح لم
يستضيئوا بنور العلم ولم يلجوا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت
تحرس المال العلم يزكو على العمل والمال ينقصه النفقة العلم حاكم والمال محكوم عليه مات
خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر واعيانهم مفقودة واما لهم في القلوب موجودة
اه اه ان ههنا واشار بيده الى صدره علما لو اصبت له حملة بلى اصيبة لقني غير مامون

هذه القطعة من جواب اسئلة سئل عنها ابن تيمية في العقائد واصول الحديث

عليه يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا يستظهر بنعم الله على عباده وبحجه على كتابه واوليائه
لاهل الحق لا بصيرة له في احنايه ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة لاذا رأى
ذلك فمنهوم بالذات سلس القياد للشهوات او مغرى بجمع المال والادخار اقرب شبها بالانعام السايمة كذلك يموت العلم بموت حامليه ثم قال اللهم بلى لن تخلوا الارض من قايم
لله بحجته هذا لفظ الحديث الذي رواه اهل العلم بذكر اللهم واما قولهم اما ظاهر مشهور او
غايب مستور فمن اكاذيب الرافضة الذين يزعمون انه اشار به الى ما لا حقيقة له
وليست هذه الزيادات في شيء من الروايات لا في مثل نهج البلاغة الذي اكثر وضعه و
واخترعه الشاعر المعروف بالرضي وتمام الحديث او بكم الاقلون عددا الاعظمون عند الله
قدرا هجم بهم العلم على حقيقة الامر فاستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش
منه الجاهلون صحبوا الدنيا ببدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اه اشوقا الى رؤيتهم
ففي هذا الحديث ان امير المومنين قسم حملة العلم المذمومين ثلثة اصناف المبتدع الفاجر
الذي ليس عنده امانة وايمان ينظر الحق الذي جاء به الكتاب ويفرط الخلق يجادل في اياته
بغير سلطان اتاه ان في صدره الا كبرا ما هو ببالغه وهو لا مثل المتفلسفه والمتكلمة الذين
يعارضون القران ويعتدون على اهل الايمان والصنف الثاني المقلد المنقاد بلا بصيرة
ويقين مثل ما يوجد في كثير من العلما والفقها الذين لهم ذكا وصحة ايمان وانما ذكر الشا
كان النفس تارة يكون ذنبها تارة بالجهل وتارة بالظلم اما بالقوة الشهوانية واما بالقوة
الغضبية فهولا اهل الاعتداء في القوة الغضبية بالكبر والطغيان هم القسم الاول في الجهال
هم المقلدون وهم القسم الثاني واهل الشهوة هم القسم الثالث ثم ذكر خلفا الرسل القايمين
بحج الله وبيناته فقال لن تخلوا الارض من قايم لله بحجته لكيلا تبطل حجج الله وبيناته
ومعلوم ان الله تعالى انما اقام الحجة على خلقه برسله فقال ليلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل فلم يبق لهم بعد الرسل حجة وانما يقوم الحجة في مغيبهم وممانهم ممن يبلغ
عنهم كما قال لكيلا تبطل حجج الله وبيناته ولا تقوم الحجة حتى يبلغ اللفظ والمعنى
جميعا اذ تبليغ اللفظ المجرد الذي لا يدل على المعنى المقصود لا تقوم به حجة بل وجوده
كعدمه فالقايمون بحجة الله هم المبلغون لما جات به الرسل لفظا ومعنا ولهذا قال ويبين
وهي ما بين الحق ثم وصفهم فقال هم الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا هجم بهم
العلم على حقيقة الامر فاستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه
الجاهلون فانه قد ذكر ان من سوى هولا جاهل او مترف والمترفد وما جهل فيستوحش

مما

مما عداه وينفر عنه كما يصيب المكذبين ببعض ما جات به الرسل من استيحاشهم لكثير منه
لجهلهم به وكما يصيب المومن بلفظ الجاهل بمعناه واما العلما فكما قال الله تعالى ويرى
الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق والمترف هو الذي ترك العمل بعلمه ٣
واستحسن ذلك كما تقدم في وصف صاحب الاعتداء في كبره وشهوته فاخبر ان هولا عملوا
علموا ما جات به الرسل فانسوا به لذلك وعملوا بذلك واستلانوه فقال فاستلانوا ما استوعره
وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وهذه صفة ايمة الهدى من الصحابة والتابعين كسعيد
ابن المسيب والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز ومن بعدهم مثل الثوري ومالك وابراهيم
ابن ادهم وعبد الله بن المبارك وفضيل بن عياض ونحوهم وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى
ابن سعيد وعبد الله بن وهب وابي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والشافعي ونحو
هولا ممن كان من اقوام هولا بهذه المنزلة في وقته احمد بن حنبل ومن يقاربه في ذلك كاسحق
بن راهويه وابي عبيد وبشر بن الحرث الحافي وغيرهولا فان الامام احمد كما قال فيه ابو عمر
النحاس الرملي رحمه الله عن الدنيا ما كان اصبره وبالماضين ما كان اشبهه انتهى الدنيا
فاباها والبدع فنفاها فهو من اعظم من انس بما استوحش منه الجاهلون واستلان ما استوعره
المترفون وهولا وامثالهم من الايمة كما قال الله تعالى فيهم وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما
صبروا وكانوا بايانا يوقنون فبهم كان اعظم يقينا بايات الله وصبروا على الحق فبهما كانوا اعظم
امامة عند الله من غيره ومن مثل هولا يوخذ تفسير القران والحديث كما قال ابو عبيد وعلمه
باللغة في الطبقة العليا مع ما له من البراعة في بقية العلوم كما ذكر يتنازع بعض اهل اللغة وعلما
الفقه والحديث في تفسير لفظ في النبي صلى الله عليه وسلم عن شمال الصماء هل بعض اهل الغريب
فسره بالتجليل وان علما الدين فسروه بابداء المكبث قال ابو عبيد والفقها اعلم بالتاويل والتاويل
هو التفسير وهو حقيقة المراد يعني ان الفقها يعلمون ما عني بالامر والنهي لان ذلك مطلوبهم
واهل الغريب يتكلمون فيه من جهة اللفظ فقط وما تريده به العرب كما قدمناه وكذلك ذكر
هلال بن العلا الرقي فيما اظن انهم لما سمعوا نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن العق قال سالت
عن العق فلانا وفلانا من اهل العلم باللغة فلم يعرفوا معناه واضطر ذكر ابا عمر الشيباني وطبقته
قال فقلنا ارجعوا بنا الى اهله فجاوا به الى احمد بن حنبل فسالوه فقال كانوا في الجاهلية اذا مات
فيهم كبير نجوا عند قبره فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه لما فيه من تعظيم الميت الذي
شبه اشاحة وبيشه الذبح لغير الله ولهذا كره احمد الاكل مما يذبح على القبور قال
هلال فقلنا هذا والله العلم ثم انشد لبعض عرب الجاهلية واذا مررت بقبره فاعقره

الألوكة
www.alukah.net

كوم التراب وكل طرف سابح فهذا البعض ما يتعلق بكون الاحاديث والآثار
موافقة للقرآن ومفسرة له واما الطريق الثاني وهو بيان وجوب قبول الاخبار
الصحيحة فنقول اما قوله هذه الاخبار آحاد لا تفيد العلم بل تفيد الظن كما عرف
في الاصول فنقول الاخبار في هذا الباب وهو باب الامور الخبرية والعلمية
ثلثة اقسام احدها متواتر لفظا ومعنى والثاني مستفيض متلقى بالقبول
والثالث خبر الواحد العدل الذي يجب قبوله اما الاول فمثل الاحاديث الواردة
في عذاب القبر وفتنته وفي الشفاعة وفي الحوض ونحو ذلك فان هذه متواترة في
باب الامور الخبرية كتواتر الاحاديث الواردة في فرائض الزكاة والصوم والصلاة
والحج والمناسك وفي رجم الزاني ونصاب السرقة ونحو ذلك وابلغ منها الاحاديث
الواردة في رؤية الله تعالى في الاخرة وعلوه على العرش واثبات الصفات له فانه
من باب من هذه الابواب الا وقد تواترفيها المعنى المقصود عن النبي صلى الله عليه
وسلم تواترا معنويا لنقل ذلك عنه بعبارات متنوعة من وجوه كثيرة يمتنع بمثلها
في العادة التواطؤ على الكذب او وقوع الغلط والخبر لا تيه الا من كذب المخبر
عمدا او من جهة خطاه فاذا كانت القاعدة البشرية والعادة الخاصة المعروفة
من حال سلف هذه الامة وخلفها تمنع التواطؤ والتشاعر على الاتفاق على الكذب
في هذه الاخبار وتمنع في العادة وقوع الغلط فيها افادة العلم اليقيني بخبرها
وللناس بخبر التواتر طريقان منهم من يقول هو ضروري فنحن نستدل بحصول
العلم الضروري على حصول التواتر الموجب له والامر هنا كذلك فانه ما من
عالم بهذه الاحاديث وطرقها ونقلتها سمعها كلها الا افادته علما ضروريا
لا يمكنه دفعه عن نفسه اعظم من علم عموم الناس بشجاعاتهم وسخاواتهم وشجاعة
عنترة وعدل كسرى وحرب البسوس ونحو ذلك من الامور المتواترة عندهم من
جهة المعنى بل هذا عند اهل الحديث ابلغ من العلم بوجود بقراط وجالينوس
عند الاطباء وسيبويه عند النحاة بل هذا عندهم ابلغ من العلم بمشهور مذاهب
الائمة عند اتباعهم كما يعلم اصحاب ابي حنيفة ان مذهبه ان اللمس لا ينقض
الوضوء وان المسلم يقتل بالذمي وانه لا يحلف المدعين وانه يقول بالاستحسان
في مواضع ويعلم اصحاب مالك ان مذهبه سد الذرائع واتباع مذاهب اهل
المدينة ونحو ذلك ويعلم اصحاب الشافعي ان مذهبه اتباع الخبر الصحيح و

تقديمه

او ع

تقديمه على القياس والعمل وانه لا يقتل المسلم بالذمي وانه اخذ عن مالك
ونحوه ونقلهم اصحاب احمد انه كان معظما لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحديث في اصوله وفروعه وانه كان يقول بفقه اهل الحديث ويقدمه على القياس والعمل
ونحو ذلك فتواتر العمل بما ذكرناه عن النبي صلى الله عليه وسلم عند اهل العلم
بحديثه اعظم من تواتر ما ذكرناه من اقوال المتبوعين عند اتباعهم ومن سمع
ما سمعوه وتدبر ما تدبروه حصل له من العلم ما يحصل لهم ولكن اكثر اهل
الكلام واتباعهم في غاية قلة المعرفة بالحديث وتجد افضلهم لا يعتقد
الا روي في الباب الذي يتكلم فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء يظن المروي فيه
حديثا او حديثين كما تجده الاكابر من شيوخ المعتزلة مثل ابي الحسين البصري يعتقد
انه ليس في رواية الاحاديث واحد وهو حديث جرير ولا يعلم ان فيها ما شاء الله
من الاحاديث الثابتة المتلقاة بالقبول حتى ان البخاري ومسلما مع كونهما محتقرين
قد رويا فيه عددا اجيدا من ذلك والبخاري هو اكبر من مسلم ومع هذا فقد
سماه الجامع المسند المختصر من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وايامه فانكار
هو كما علمه اهل الوراثة النبوية مثل حكاية كثير من الفقها لمذاهب الائمة
المشهورين بخلاف المتواتر عند اصحابهم وقد رايت من ذلك عجايب حين
رايت في الكتب المشهورة عند الحنفية ان مالكا يبيح نكاح المتعة وقد علم ان
مذهب مالك يمنع توقيت الطلاق ليلا يشبه المتعة وكثير من الناس قد يطرق
سمعه هذه الاحاديث ولا يجمعها وطرقها في قلبه وان كان من سامعي الحديث وكتابه
ومعلوم ان حصول العلم في القلب بموجب التواتر مثل حصول الشبع والري وكل واحد
من الامرين يفيد قدرا من الاعتقاد فاذا تعددت الاخبار وقويت افادت العلم
اما بالكثرة واما بالقوة واما بمجموعهما والعلم بموجب الخبر لا يكون بمجرد سماع
حروفه بل بفهم معناه مع سماع لفظه فاذا اجتمع في القلب المستمع للاخبار
المروية بطرقها والعلم بحال رواتها حصل له العلم الضروري الذي لا يمكنه
دفعه ويدل على ذلك ان جميع ائمة الحديث المعروفين المشهورين قاطعة بمضمون
هذه الاحاديث شاهدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك جازمون بان
ما كذب بمضمونها فهو ضال او كافر مع علم كل احد بفرط علم القوم و
دينهم وانهم اعلم اهل الارض بما يصدق و يكذب باحوال المخبرين

وانهم يحرفون الرواية والخبر فيخبر الا يفعله احد لا من المسلمين ولا من غيرهم
فيما اخذوه بالنقل عن الانبياء او عن غيرهم والمرجع في العلم بخبر هذه الاخبار الى
ما يجده الانسان في نفسه من العلم الضروري الذي ليس له الا ذلك كما يرجع الى ما يجده
من العلوم الوجودية كاللذة والالم وما يحس وكل من كان من العلماء بالحديث من
الاولين والاخرين يجد ذلك ويحلف عليه ويباهل عليه ومن شاء ان يباهلنا
باهلناه فانا اتباع الانبياء نباهل على ما جاؤا به كما دعا الانبياء المباهلة على الى
فانا اتباع الانبياء ما انا هم من الاثم وقول القادح في النبوة يجوز ان يكون
الذي جاءه شيطان ويجوز ان يكون عليه مثل قول هؤلاء القادحين فيما
اتاهم به ومن ظن ان الانبياء يجوز ان يكون رواة هذه الاخبار كاذبين او غالطين
وكل احد يعلم ان المتدينين بالحديث اصدق الطوائف واعدلها واقلها كذبا
وظلما كما قال عبد الله بن المبارك وجدت الدين لاهل الحديث والكلام للمعتزلة
والكذب للرافضة والحيل لاهل الرأي وذكر كلمة اخرى ثم لو ساوينا بين
اهل الحديث وبين اقل الطوائف فمن المعلوم ان المناظرة اذا انتهت الى العلم او
بالضرورة لم يكن لاحد الخصمين رد ذلك على خصمه فانه علم بنفسه كما ان يعلم
كذب الخبر الذي يستدل به على انتفاء العلم به مثل علمنا بكذب الرافضة في
دعوى النص وكذب النصارى في دعوى صلب المسيح فاذا كان المناظر لنا يقول
اني اعلم كذب من قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبت هذه المعاني
او اني اعلم ان النبي ما اثبت ذلك سواء ادعى ذلك ضرورة او نظرا ونحن نقول انا
نعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم اثبت ذلك كان بيننا وبينه ما كان بين
النبي صلى الله عليه وسلم وبين اهل نجران من المباهلة قال الله تعالى فمن حاجك
فيه من بعد ما جاءك من الحق فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين فاذا قد جاءنا من جهة نبينا صلى
الله عليه وسلم ما نقول لمن حاجنا فيه من بعد ما جاءنا من العلم تعالوا فان المحاجة
التي هي المناظرة اذا انتهت الى دعوى كل واحد من المناظرين علمنا ما هو عليه
بدليل اختص به او عجز عنه او ترك الاستدلال واعرض عنه او عجز عنه او علم فرط
لم يفصل بينهما الا المباهلة او انقياد من لم يباهل لمن باهل كما انقاد النجرانيون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان المخاطب لنا اذا كذب لنا جانا عن نبينا اما ان

باهله

عندهم

يناظر

يناظر بالعلم والعدل واما ان يباهل اذا ادعى ان عنده من العلم ما لا يمكنه المناظرة
به فان امتنع منهما فاما ان ينقاد والا فقد بان ظلمه وكذبه واستحق ما يستحقه الكاذب
الظالم في هذا الباب واما القسم الثاني وهو طريق يفيد افادة التواتر للعلم بالنظر
والاستدلال فنقول التواتر يفيد العلم بكثرة العدد تارة وبصفات المخبرين اخرى
فان الواحد والاثنين ممن علم كمال عدله وضبطه كابي بكر وعمر وابن مسعود وابن
عمر يفيد اخبارهم من العلم ما لا يفيده خبر عدد ليسوا مثلهم ويعتبر كل واحد
ذلك بمن يعلم منه ذلك ولكن هذا انما يوجد كثيرا في اهل السنة والعدل واما اهل
الاهواء فالكذب فيهم كثير اذا ثارة بحال المخبر عنه وتارة بقوة ادراك المخبر وفطنته
فان الذكاء وقوة الادراك بهما من العلم ما لا يحصل لمن ليس له ذلك واذا كان كذلك يحصل
فالمخبرون بهذه الاخبار يتعين معرفة احوالهم ولهذا اتحد حال من علم حال
مالك بن انس وابن عمر يعلمون من صدق رواياتهم ما لا يحصل لهم من رواية
شعبة وقتادة والثوري واما اهل الحديث فيعلمون ان الثوري كان احفظ و
ابعد عن الغلط من مالك وان مالكا كان اكثر تنقية للشيوخ من الثوري فالثوري
يروي عمن لا يروي عنه مالك فشيوخ مالك ثقات عنده بخلاف محدثي الثوري
فليس كلهم ثقة عنده وكان يسمع من الكلبي ويروي عنه السماع منه ويقول انا
نعلم صدقه من كذبه ويعلمون ان الزهري وقتادة ما كانا يغلطان ويعلمون يعلمون
ان ابن مسعود وابن عمر لا يتصور ان الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك
اكثر ائمة اهل الحديث مثل مالك وشعبة والثوري واحمد بن حنبل من علم حالهم
يعلم علما ضروريا انهم لم يتعمدوا الكذب قط في حديث النبي صلى الله عليه وسلم
ويعلمون ان هؤلاء لم يغلطوا الا في لفظة او لفظتين ومنهم من يعلمون
انه لم يغلط في الحديث النبوي فان احمد ابن حنبل ما عرف انه غلط فيه قط ولا
الثوري ولا الزهري وكذلك خلق كثير غيرهم والذين يعلمون انهم قد يغلطون مثل
حماد بن سلمة او جعفر بن محمد يعلمون ان غلطهم انما هو شيء يسير وفي مواضع
يعرفونها وبالكلية الجملة يجب ان يعلم ان حفظ الله تعالى لسنة نبيه من
جنس حفظه لكتابه الذي لا يروج فيه الغلط على صيارفة المسلمين وكذلك الحديث
لا يروج فيه الباطل على علماء الحديث مع انا لا ندعي هذا الطراز هذا الطراز فان ذلك
من خواص اهل الحديث وخصايص الامة وانما يكفينا هنا الاكتفاء بالقاعدة

الألوكة
www.alukah.net

المشتركة بين بني آدم فان العلم بمخبر الاخبار يكون من الاسباب الاربعة التي تقدمت الكثرة وحال المخبر وحال المخبر عنه وحال الاخبار ايضا ومن قال من المتكلمين ومن اتبعهم من الفقهاء من اصحابنا وغيرهم ان الاعتبار بالعدد وانه اذا حصل بخبر اربعة لقوم عدد امر وجب ان يحصل بخبر كل اربعة لكل قوم في كل قضية فهذا قد عرف غلطه قوم غلطه في مواضع ويكفي الانسان انه اذا تصور هذا القول وعرضه على نفسه علم بطلانه فبهذين الطريقين الضروري والنظري يحصل العلم لاهل الحديث بخبر هذه الاخبار المتواترة تواترا لفظيا او معنويا في الامور العلمية في باب الايمان بالله والايمان باليوم الاخر والقسم الثاني من الاخبار ما لم يروه الا الواحد العدل ونحوه ولم يتواتر لا لفظه ولا معناه ولكن تلقته الامة بالقبول عملا به او تصديقا له كخبر ابي هريرة لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها فهذا يفيد العلم اليقيني ايضا عند جماهير امة محمد صلى الله عليه وسلم من الاولين والاخرين اما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع واما الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من اصحاب الائمة الاربعة والمسئلة منقولة في كتب الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية مثل السرخسي ومثل الشيخ ابي حامد وابي الطيب وابي اسحاق وغيرهم ومثل القاضي ابي يعلى وابي الخطاب وابن الزاغوني وغيرهم ومثل القاضي عبد الوهاب وغيره وكذلك اكثر المتكلمين من المعتزلة والاشعرية مثل ابي اسحاق الاسفرايني وابي بكر بن فورك وغيرهما واما النزاع في ذلك فطائفة كابن الباقلاني وتبعه مثل ابي المعالي والغزالي وابن عقيل وابن الجوزي ونحوهم وقد ذكى ابو عمرو ابن الصلاح القول الاول وصححه لكنه لم يعرف مذاهب الناس فيه ليتقوى بها وانما قاله بموجب الحجة وظن من اعترض عليه من المشايخ الذين فيهم علم ودين وليس لهم بهذا الباب خبرة تامة لكنهم يوجبون الى ما يجدونه في مختصر ابي عمرو ابن الحاجب ونحوه من مختصر ابي الحسن الامدي والمحصل ونحوه من كلام ابي عبد الله الرازي وامثاله ظنوا ان الذي قاله الشيخ ابو عمرو في جمهور احاديث الصحيحين قول انفرد به عن الجمهور وليس كذلك بل عامة ائمة الفقهاء وكثير من المتكلمين او اكثرهم وجميع علماء اهل الحديث على ما ذكره الشيخ ابو عمرو وليس كل من وجد العلم قدر على التعبير عنه والاحتجاج له فالعلم شيء وبيانه شيء اخر والمناظرة

عنه واقامة دليله شيء ثالث والجواب عن حجة مخالفه شيء رابع والحجة على قول الجمهور ان تلقي الامة للخبر تصديقا وعملا اجماع منهم وامة لا تجتمع على ضلالة كما لو اجتمعت على حكم او امر او مطلق او اسم حقيقة او على موجب قياس بل كما لو اجتمعت على ترك ظاهر من القول فانها لا تجتمع على خطاء وان كان ذلك لوجود الواحد اليه نظره لم يامن على الخطا فان العصمة ثبتت للبسيطة الاجتماعية كما ان خبر التواتر كل من المخبرين يجوز عليه ان يكون كاذبا او مخطئا ولا يجوز ذلك اذا تواتر فالامة في مروياتها ومرويا ايضا كما قال النبي النبي صلى الله عليه وسلم اني ارى مرويا كم قد تواطات على انها في العشر الاواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الاواخر فجعل تواطي الرويا دليلا على صحتها والواحد من الرواة قد يجوز عليه الغلط وكذلك الواحد في رايه وفي رواياه وكشفه فان المفردات في هذا الباب تكون ظنونا بشروطها فاذا قويت تكون علوما واذا ضعفت تكون اوهاما وخيالات فاسدة وايضا فلا يجوز ان تكون في نفس الامر كذبا على الله ورسوله وليس في الامة من ينكره اذ هو خلاف ما وصفه الله فان قيل اما الجزم بصدقه فقد يمكن منهم لامحالة واما العمل به فهو الواجب عليهم ان لم يكن صحيحا في الباطن وهذا سؤال ابن الباقلاني قلنا اما الجزم بصدقه فلجزمهم بالاحكام التي يستدلون فيها الى ظاهر او قياس ولجزمهم بمعاني الايات والاخبار وذلك انه قد يحتف به عندهم من القرائن ما يوجب العلم اذا القرائن المجردة قد تفيد العلم بمضمونها فكيف اذا احتفت بالخبر والمنازع بنا هذا على اصله الواهي ان العلم بمخبر الاخبار لا يحصل الا من جهة العدد فلزمه ان يقول ما دون العدد لا يفيد اصلا وهذا غلط خالفه فيه حذاق اتباعه واما العمل به فنقول لو جاز ان يكون في الباطن كذبا وقد وجب عليهم العمل بما هو كذب فهذا هو الخطا لا معنى لاجماع الامة على خطا الا ذلك فان الجواز لذلك لا يقول انهم عاصون او فساق بالخطا وان بني ذلك على اصله الفاسد من ان الاثم والخطا متلازمان فقد سد على نفسه باب كون الاجماع حجة فان المنازع يقول انا اجوز عليهم الخطا بلا اثم فان كنت تقول ان ما لا اثم فيه لا خطا فيه كان قولك اهل الاجماع عندك مثل قول الواحد من المجتهدين اذ ليس عندك لا خطا ولا اثما وليس مثل هذا القول

العقل حجة على

حجة على من منعه بلا ريب فيلزم ان لا يكون قول اهل الاجماع حجة بل هو كقول
الواحد من المجتهدين وليس هذا مذهبهم وان لزم تناقضه والمقصود هنا الاحتجاج
بالقواعد المقررة والاقرب انه يكون الاجماع حجة ايضا فالاجماع واذا كان تتلقى الامة
له بالقبول يدل على انه صدق لانه اجماع منهم على انه صدق مقبول فاجماع
السلف والصحابة عليه لو كان كاجماعهم على الاحكام او معاني الايات بل لا يمكن
احدا ان يدعي اجماع الامة الا فيما اجمع عليه سلفها واما بعد ذلك فقد انتشرت
انتشارا لا يضبط معه اقوال جميعها واعلم ان جمهور احاديث البخاري
ومسلم من هذا الباب كما ذكره ابو عمرو بن الصلاح ومن قبله من العلماء كالحافظ
ابي طاهر السلفي وغيره واما ان تلقاه اهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق دون
من لا يعرف الحديث من المتكلمة ونحوهم فهو كذلك يكون اجماعهم على ذلك حجة
قطعية لان الاعتبار في الاجماع على كل امر من امور الدين باهل العلم به دون
غيرهم فكما لا يعتبر في الاجماع على الاحكام الشرعية الا العلماء بها وبطرقها وهم
الفقهاء في الاحكام دون النحاة والاطباء فكذلك لا يعتبر في الاجماع على صدق الحديث
وعدم صدقه الا اهل العلم بطرق ذلك وهم علماء الحديث العالمون باحوال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الضابطون لاقواله وافعاله العالمون باحوال حملة الاخبار
فان علمهم بحال المخبر والمخبر عنه مما يعلمون به صدق الاخبار كما ان العلم
المتفق على صدقه والفقيه والمتكلم والصوفي بالنسبة الى علماء الحديث كالمحدث
والمتكلم بالنسبة الى الفقيه والجمهور على ان هؤلاء لا يعتد بخلافهم وقد قيل
انه يعتد بخلافهم فهكذا اذا خالف اهل الحديث متكلم او فقيه وهذا في خبر
الواحد المحتف بالذي لم تتواتر لفظا ولا معنى وقد علمت ان التواتر يشترط
فيه عدد معين على القول الصحيح فيتصل بعض هذا القسم بالقسم الاول اذا كان
ما رواه الواحد والاثنان قد يحتف به العلم فيكون متواترا باعتبار صفاتهم وغيرها
من القرائن والعمايه وكثير من الناس لا يسميه متواترا بل يجعل ما رواه الائمة
من اخباره الاحاد مطلقا ويتوقف فيما رواه الخمسة كما يقوله القاضي ابو بكر والقاضي
ابو يعلى في بعض كتبه وللناس في العدد اقوال كثيرة سبعة واثنا عشر واحد عشر
وثلثمائة وبضعة عشر وغير ذلك مما حكيت ولا اعلم بها قائلا معينا ولا حجة تذكر
والقسم الثالث خبر الواحد العدل الضابط الذي يجب قبوله والعمل

هنا بياض في الاصل الذي نقل منه هذا

به على المسلمين ليس كل خبر من كل عدل ضابط بل الخبر الذي اوجب الشريعة تصديق
مثله والعمل به فهذا في افادة العلم به قولان هما وايمان احدهما انه يفيد العلم
ايضا وهو احدى الروايتين عن مالك وقول الحرث المحاسبي وغيره وقول محمد بن خويز منداد
وقول طوايف من اهل الحديث واهل الظاهر وطايفة من اصحاب احمد
والثانية لا توجب العلم ولا تطلق عليها مضمونه وهذا قول جمهور اهل
الكلام واكثر متاخري الفقها وطوايف من اهل الحديث لان ذلك الخبر عورض عليه
الكذب عمدا او خطا والعمد قد يعلم انتفاوه لكن الخطا لا يعلم انتفاوه فان الانسان
قد يخطي سمعه وقد يخطي فهمه لما سمعه وقد يخطي ضبطه لوحفظه
وقد يخطي لسانه في تبليغه فمع هذه التجويزات لا يقطع بعدمها
وللاولين نحن ليس هذا موضع استقصايها اذ هم لا يجعلون حصول العلم
بهذا من جهة العادة المطردة في حق الكفار وغيرهم كما يقوله المتكلمون
في التواتر الذي يحصل العلم فيه بخبر الكفار والفساق وانما يقولون هذا
من باب حفظ الله تعالى للذكر الذي بعث به رسوله وعصمته لحجته ان
يوجب على الامة اتباع ما يكون باطلا اذ لو جاز ذلك ولم يبق بعد محمد نبي
يبين الخطا لم يقم حجة الله على اهل الارض في ذلك ولكان قد اوجب الله
على الناس ان يقولوا على ما هو في نفس الامر كذبا ويقولون متى كان الحديث
قد اوغلط فلا بد ان ينصب الله حجة يبين بها ذلك كما قال بعض السلف لو هم
رجل في السحر ان يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصبح الناس يقولون
هذا كذاب وفي ذلك من البسط ما لا يختص بهذا المكان ولا يقف عرضنا عليه
فان عامة الاحاديث التي يصح بها موارد النزاع لا تخرج عن القسم الاول او الثاني
واحاديث الاصول الكبار التي بها يميز اهل السنة والجماعة اهل من القسم الاول
المتواتر لفظا ومعنى وفي لفظها يخالف الخوارج والروافض والجهمية والقدرية
من المعتزلة ونحوهم فصل الطريق الثالث ان يتكلم
في الحديث الذي اتفقت اسباب العلم بصدقه من كل وجه وهذا قد يكون
عند شخص وطايفة دون شخص وطايفة فكثير من الاحاديث المعلوم صدقها
عند علماء الحديث اي عند غيرهم غير معلومة الصدق بل يظن بها الكذب
كما ذكره المعترض وذوبه نقول على هذا التقدير علينا ان نقدر الحديث

كذب ح

في ح

قدمة فاذا غلب على الظن صدقه اعتقدنا اعتقادا جازما مضمونا ولم نجزم به
جزما بالمتيقن صدقه كما نقول في ادلة الاحكام الظواهر والاقيسة وخبر الواحد
انجر واذا لم نفد نا الا غلبة الظن اعتقدنا غلبة الظن بها وهذا هو الواجب بل هذا
في الامور الخبرية اجود لانه لا يترتب على ذلك فساد ولا مضرة اذ كنا كما نوجب به عملا
ولا نحرمه وانما نظن مضمونها وبهذا اجبنا عما تروى الاحاديث في الوعد
والوعيد اذا كانت ضعيفة ولم يعلم صدقها ولكن بها ولا يثبت بها استحباب
لكن يثبت بها ظن يحرك القلب على فعل الخيرات او ترك المنكرات فاذا كان هذا فيما
يتعلق بالايمان باليوم الاخر فكذلك فيما يتعلق بالايمان بالله اذا روى خبر في عظمة
الله وبعض شؤونه التي لم يعلم بها الخبر اثباتها ولا اثبوتها والخبر مما يغلب على الظن
صدقه اعتقدنا بموجبه وظننا ذلك ظنا غالبا فان كان صادقا في نفس الامر و
الا فعظمة الله اكبر كما ان حديث الوعد والوعيد الذي لم يعلم انتفا مضمونه ان
كان صادقا والا فثواب الله اعظم مما علمناه مفصلا اذ فيه ما لم يخطر على قلب
بشر فهذا هذا وهذا مما اتفق عليه المسلمون الامة وائمة الاسلام
ان الخبر الصحيح مقبول مصدق به في جميع ابواب العلم لا يفرق بين المسايل العلمية
والخبرية ولا يرد الخبر في كل باب من الابواب سواء كانت اصولا او فروعا بكونه خبر واحد
فان هذا من محدثات اهل البدع المخالفة للسنة والجماعة فان قيل هذا بشرط
ان لا يعلم بالعقل ولا بالشرع انتفا مضمونه قلنا نعم لابد من هذا الشرط والا
فالظن باستحالة مضمونه يستحيل ان يغلب على ظننا صدقه فاذا هذا جمع بين
النقيضين لكن دعوى المعترض قيام الادلة العقلية القطعية على انتفا مضمون
الايات والاخبار هو السوال الاخر فلهذا اخرنا الجواب الى هناك والواقع انه ليس
في الاخبار الصحيحة التي لا انتفاء ضد لها من جنسها ما يخالف القران ولا العقل كما سنبين
ذلك فان قيل من الناس من يقول لهذه المسايل العلمية التي امرنا ان نقول فيها
بالعلم متى لم يكن الدليل عليها علميا قطعنا ببطلانه فلهذا يجب رد كل خبر او دليل
لا يفيد علما في باب الخبر عن صفات الله ومنهم من يطرد ذلك في صفات المخلوقين
كالاعراض والسموات قلنا لا ريب ان هذا الكلام قد يطلقه كثير من اهل النظر
كالقاضي ابي بكر وابن عقيل والمازري ونحوهم وقد اطلقه قبلهم كثير من متكلمة
المعتزلة وغيرهم وقد انكر ذلك عليهم كثير من ارباب النظر وقالوا العلم بالعدم غير

عدم العدم الدليل غير دليل وهذا قول اكثر الفقها واهل الحديث واهل الكلام
وفصل الخطاب ان يقول لا يخلوا اما ان يكون الموضوع مما اوجب الله
علينا فيه العلم او اوجبت مشيته وسنته فيه العلم واما ان لا يكون مما يجب
فيه العلم لا شرعا ولا كونا فان كان الاول مثل ما اوجب الله علينا ان نعلم ان الاله
الا هو وان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وانه على كل شي قدير وانه
قد احاط بكل شي علما فلا بد ان ينصب سببا يفيد هذا العلم ليكون موجبا
علينا ما لا نقدر على تحصيله وانه لا يكلفنا ما لا طاقة له اذا اردنا تحصيله ففي
مثل هذا اذا لم يكن الدليل موجبا للعلم لم يكن صحيحا وكذلك ما اقتضت مشيته
وسنته العلم به مثل الامور التي جرت سنته بتوفر الهمم والدواعي على
نقلها نقلا شايعا فاذا لم ينقل فيعلم انتفاؤها وكذب الواحد المنفرد بها واما
ما لم يجب فيه العلم لا وجوبا دينيا ولا وجوبا كونيا فلا يعلم بطلان ما افاد فيه
غلبة الظن فان البينتين له اسباب وللظن الغالب اسباب والتكذيب بما لم يعلم
انه كذب مثل التصديق بما لا يعلم انه صدق والنفي بلا علم بالنفي مثل الاثبات
بلا علم بالاثبات وكل من هذين قول بلا علم ومن نفى مضمون خبر لم يعلم
انه كذب فهو مثل من اثبت مضمون خبر لم يعلم انه صدق والواجب على
الانسان فيما لم يقم فيه دليل احد الطرفين ان يسرحه الى بقعة الامكان
الذهني الى ان يحصل فيه مرجح او موجب والا يكون قد سكت عما لم يعلم فهو
نصف العلم فرحم الله امرا تكلم فغنم او سكت فسلم ومن كان يومن بالله
واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت واذا اخطا العالم لا ادري اصيبت مقاتله واذا
كان كذلك فنحن لم يجب علينا قط ان نعلم جميع ما لله من معاني اسمايه ولا
ان نعلم جميع صفاته ولا ان نعلم صفات مخلوقاته ولا مقادير وعده ووعيده
وصفات ذلك ولا احصى سنته فان سبب العلم بذلك يكون مشهورا ولا قام دليل
على ما نعلمه من ذلك فاذا جانا خبر يغلب على الظن صدقه صدقناه في غالب
الظن وان غلب على الظن كذبه كذبناه وان لم يعلم واحد منهما توقفنا فيه
ويجوز لنا ان نرويه اذا لم نعلم انه كذب لكن متى علمنا انه كذب لم يجز روايته
الا مع البيان لقوله صلى الله عليه وسلم من حدث عني بحديث وهو يعلم انه
كذب فهو احد الكاذبين وهو في صحيح مسلم واما من قال من ظاهرية

الألوكة
www.alukah.net

اهل العلم ان ما لم يقم على ثبوته دليل فانه يجب نفيه فانه مبني على هذا الاصل
المتقدم وقد بينا حكمه واما قولهم هذا من المسايل العلمية فقد تكلم فيها بالظن
فهن لفظ مشترك فقد يراد بالعلمية ما ليس تحتها عمل كما يقول بعضهم العلوم النظرية
والمسايل الخبرية والاعتقادية واذا كان المراد بها ذلك لم يجب ان يكون مقطوعا
بها وقد يراد بالعلمية ما العلم فيها واجب او واقع وهو ما يرد فيها ما لم يفد العلم
ولهذا فصلناه لك اي نوعين والله اعلم فصل واما السوال
الثاني وهو قوله ليست الاحاديث نصوصا في ذلك بل هي ظاهرة قابلة للتاويل
فهذا الكلام في محل نقابله بجواب مجمل وهو ان نقول كل موضع قطعنا بمضمونه فالنصوص
فيه قطعية وما نقطع بمضمونه فقد يكون الدلالة فيه ظاهرة وقد يكون قطعية وما لم
يتبين لنا كونها قطعية يكون الدليل في نفسه موجبا للقطع والاعتقاد الراجح
غير حصول العلم وذلك ان الادلة هي في نفسها الاتفاق الجمهور على القول الاخر
واما الموثمة للمخطي والمعتقد ون ان من لا اثم عليه لم يخط كابن الباقلاني ونحوه
فيقولون ليس في الظنون تفاوت ولا عليها امارات تقتضيها وهذا غلط عند
جمهور الناس بل للظن اسباب كما للعلم اسباب واذا كانت الادلة هي في نفسها
على صفات تقتضي ذلك فان ذلك يختلف ايضا باختلاف قوى الادراك وباختلاف كمال
النظر فالحاد الذهن الصبور على التفتيش النظر يحصل له من العلم والظن بانواع
من الادلة والامارات ما لا يحصل لمن ليس بقوته ولم يصبر صبره وما لم يكن قطعيا
بل دلالته ظاهرة ليس للانسان ان يصرفه عن ظاهره الا مع وجود المقتضي لذلك
السالم عن المعارض القاهر فالمقتضي مثل قيام دليل يبين لنا مراد المتكلم من
الادلة الشرعية ونحوها كالمقام الذي بين معناه الخاص وكذلك نوفر ضنا
وجود دليل عقلي قطعي يعارض ظاهر الادلة الشرعية التي ليست قطعية لوجب
تقديم القطعي على الظني والجزم بانا ان الرسول لم يرد بكلامه ما يعلم مثلنا وامثالنا
انتفاوه وعقولنا اقل من ان يقال هي دون عقله قل لو حكى احد مسيلة
في الطب او النحو مما يعلم ان ابقراط وسيبويه لا يقولانها لبادرنا الى التكذيب مثل
ان يحكي حاك عن ابقراط انه قال طبايع الاجسام الارضية خمسة او البلغم
احسن من الموت الصفرا والدم ايبس منها او هي ابرد من المرة السوداء فانا
نعلم ان ابقراط ونحوه لا يقولون هذا فاما ان الناقل فد كذب عمدا

اوخطا

للعبارة ع

اوخطا او يكون له معنى غير الظاهر الباطل الذي لا يقوله ذلك الفاضل
وكذلك لو نقل عن سيبويه ان الفاعل منصوب والمبتدا مجرور وخبر
كان مرفوع وخبر المبتدا مجرور ونحو هذا لعلمنا ان هذا كذب على سيبويه
عمدا او خطا او يكون للعبارة معنى يليق به ان يقوله وكذلك لو نقل عن الائمة
امور الثاني ما علمناه من احوالهم علمنا انه مكذوب او مصروف عن نقل
عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال عند ربه انه خلق نفسه من عرق الخيل
او ان النبي صلى الله عليه وسلم كان موجودا بعينه نبيا قبل ان ينبيه الله او ان
يعطي من دعا بهذا الدعا مثل ثواب الانبياء ونحو ذلك علمنا انه بكذب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم والكذب عليه كثير قد صنف العلماء في بيان الاحاديث الموضوعة
مصنفات ومتيزوا الصدق من الكذب تمييزا معلوما عند اهله ولكن هل
في القران او الاحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ظاهره ممتنع
في العقل ولم يتبين ذلك بالادلة الشرعية هذا لا يعلم انه واقع اصلا
عن قال ان هذا واقع فليذكره فانا راينا الذي يدعي فيه ذلك اما ان يكون الحديث
فيه موضوعا او الدلالة فيه ليست ظاهرة او ان ظاهرها الذي لم يرد قد بين
بادلة الشرع انتفاوه فاذا كان النص ثابتا والدلالة ظاهرة وليس في بيان الله ورسوله
ودلالته ما يبين انتفاها ومعارضة بها فانا وجدنا ما يذكر انه من المعقول له
هو في نفسه هو معارض بمعقول اقوى منه ووجدنا من المعلوم الامور المعقول
بل وجدنا المعقول الصريح يدل على بطلان المعارض للمعقول الصحيح والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل وهذه جملة يبينها التفصيل اذا السوال
ايضا مجمل وقد فصلنا الجواب اكثر من تفصيل السوال وهذا يظهر بذكر
فصل جليل القدر عظيم في تصديق المرسلين ورعاية حق المومنين وذلك انه
ما زال في الامة قديما وحديثا من يظهر له من اية او حديث معنى ويعتقد
ان ذلك المعنى باطل اما لمعارضته لما يرى انه علمه او لمجرد عقله لامور الموجودة
او لما يرى انه علمه مما عقله من كتاب الله فيحتاج عند ذلك اما الى رد الخبر واما الى
تاويله ورده بان يقول غلط سمع الراوي او لم يفهم معناه او لم يحفظ ما قاله
او انه تعمد الكذب فان الخبر لا ياتيه البطلان الا من تعمد الخبر او خطاوه
اما في نفس ما سمعه من اللفظ فقد يغلط السمع وقد يسمع البعض دون

البعض واما انه لم يفهم المعنى ورواه بالمعنى الذي فهمه بلفظ اخر او باللفظ الاول
مع قرائن تفيد غير المعنى الاول او كان مع اللفظ الاول قرائن تركها بحيث يكون
اللفظ مشتركا والمتكلم اراد به معنى مع قرائن والراوي فهم معنى اخر واخبر به
مع قرائن تفيد ذلك المعنى فالجمع بين المتفرق في الدلالة والفرق بين المجتمع فيها
قد يحيل المعنى ولهذا قال القاسم كما احمد وغيره في الحديث الطويل اذا اراد الرجل
ان يفرقه ويروي بعضه قالوا لا يفعل ذلك فيما يرتبط المذكور منه بالمتروك ارتباطا
يحيل المعنى تفريقه وذلك ان المستمع للكلام لا يروي مجرد صوت غير معلوم المعنى
بل يروي لفظا له معنى فاذا ضبط اللفظ الدال على المعنى فقد يحفظ ذلك وقد
ينساه فلا تأتيه الآفة الا من الغلط في الفهم اولا او من زوال العلم بعد حصوله
بالنسيان والآفة التي عم علم فاسمع وحفظ لم يبق فيه الا ان يتعمد الكذب فالذين
يروون الخبر على انتحال امر باطل نادرة يوجدون ولا يقبلون ان النبي صلى الله عليه وسلم
قاله وتارة يفسرونه ويتأولونه بامور اخر وان خالف الظاهر فهذه الفئة قد وقع
من بعض الصحابة في هو ضع ومن التابعين اكثر وكلما تأخر الزمان كان وقوعه
اكثر لكن اذا تأمل العالم ما وقع من الصحابة والتابعين وجد الصواب والحق
كان في الخبر الصحيح وان الذي غلط راويه بزيادة كان هو الغالط وان كان عظيم
القدر مغفورا غلطه مثابا على اجتهاده فاذا كان هذا حال اكابر الصحابة والتابعين
فكيف من بعدهم من الاخبار بالتكذيب والتجريح من المتأخرين احسن احوال المؤمن العالم
منهم ان يكون هو الغالط بتغليط راويه فالواجب الاتباع عن رب السموات ويكون
هذا الغلط مغفورا له لاجتهاده ويكون مثابا على ما فعله من خير بنيته وقصده
وعلمه وسعيه اما ان يرجح رايه وتاويله على مقتضى النصوص فهذا ظلم محرم
وفيه رد ما جاء به الرسول لاجل ما ابتدعه غيره وتاويله ولهذا قال الامام احمد
اكثر ما يخطئ الناس من جهة التاويل والقياس ولقد احسن رضي الله عنه
بهذه الكلمة الجامعة النافعة فاني تدبرت عامة من رد حديثا صحيحا بقياس
حديث صحيح يكون ناسخا له رفع او تفسيرا ومبينا غلط راويه فلم اجد اللفظ الا
مما اراد وان كان قد تاول لوجه ظاهر القرآن ويكون غلط من احد وجهين اما لانه
اعتقد ظاهر الحديث ما ليس ظاهره فرده وكا يكون ظاهر الحديث هو المعنى
المردود ولان ظاهره الذي اعتقده الظاهر حق والدليل الذي يعارضه ليست

معارضته

معارضته حقا وهذا والله اعلم من حفظ الله لما انعت به بنيه من
الحكمة التي هي سنة فانها من الذكر الذي امر الله بذكره حيث قال واذكرن ما يتلى
في بيوتكن من ايات الله والحكمة وقد قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون وسنته التي هي الحكمة منزلة بنص القرآن فان كانت داخلة في
نفس الامر الذكر وانا له لحافظون وسنته التي هي الحكمة كما تقدم تقديمه والا كانت
في معناه فيكون حفظها بما حفظ به الذكر ولهذا يوجد من الايات الخارقة
للعادة في حفظ السنة ما يوكد ذلك كما ان الله تعالى حفظ القرآن حفظا
خرق به عادة حفظ الكتب السالفة وكما ان الله تعالى جعل اجماع هذه الامة
حجة معصومة وذلك انه لا نبي بعد محمد حتى يبين ما غير من دينه وانما
العلماء الذين هم ورثة الانبياء الذين يحفظ الله بهم حجه وبيناته ولهذا
كان طائفة من علماء الامة وفقهائها الكبار يتحدثون وايما انه من قد ان
يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثان صحيحان متعارضين
فليأتنا وان يجد احد الى ذلك سبيلا وهذه الفئة عامة في الاحاديث
الخبرية المتعلقة بالعقائد والاصول الخبرية وفي الاحاديث العلمية المتعلقة
بالاعمال اصولها وفروعها لا يستثنى من ذلك نوع واحد كما يفعله طوائف من
اهل الكلام الذين سلكوا المعترض سبيلهم وانا اذكر امثلة وقعة بها من
الصحابة لتكون عبرة لما سواها ويستفيد الانسان بها اقران الاحاديث
الثابتة عند علماء الحديث ويوسع الاعتذار والاستغفار لمن تاول في
اجتهاده في طلب الحق وان اخطاه بل يعطى حقه من المحبة والموالاة والتعظيم
بحسب حسناته وايمانه فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت يعذب
ببكاء اهله عليه ومن نيح عليه يعذب بما نيح عليه وهذا رواه عن النبي صلى الله
عليه وسلم عمر وابن عمر والمغيرة بن شعبة وحلف عن ذلك فطائفة من السلف والخلف ردته
وطائفة تاولته على غير تاويله وطائفة اقرته على المعنى الذي احاله اولئك الذين
هو ظاهره واسعد الناس به من فهم ظاهره واقر ثم سكت عن الامرين واكثر ما دخل
الامر من جهة اعتقاد فهم ظاهره فانهم اعتقدوا ان الله تعالى يعاقب الميت
بعمل غيره لان ذلك مع منافاته العدل عندهم فهو مخالف لقوله ولا تزر وازرة

الألوكة
www.alukah.net

وزر اخرى ثم تنوعوا ما بين ردّ وتاويل فردته طائفة منهم عايشة وابن
عباس والشافعي في مختلف الحديث وغيرهم وقالت عايشة انكم لتحدثوننا عن
غير كاذبين ولكن السمع قد يخطي واقسمت ان النبي صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك
ثم ادت حرفين واحدهما معناه يوافق معنى ذلك الحديث ولهذا قال الشافعي
في مختلف الحديث ما قالته عايشة انشبه بكتاب الله لكن روايتها الاخرى
اي صحيحة قلت فاما الحديث الاول ففي الصحيحين عن ابن ابي مليكة قال توفيت
لقثم ابنة بمكة وجينا لنشهدها وحضرها ابن عمر وابن عباس واني لجالس
بينهما او قال جلست الى احدهما ثم جاء الاخر فجلس الي جنبي فقال عبد الله بن
عمر لعمرو بن عثمان الا تنهى عن البكا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت
يعذب ببكا اهله فقال ابن عباس كان عمر يقول بعض ذلك ثم حدث قال صدرت
مع عمر من مكة حتى اذا كنا بالبيداء اذا هو بركب تحت ظل سمرة فقال اذهب
فانظره من هؤلاء الركب قال فنظرت فاذا صهيب فاخبرته فقال ادعه لي فرجعت
الى صهيب فقلت ارتحل فالحق امير المومنين فلما اصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول
وا اخاه واصاحباه فقال عمر يا صهيب اتبكي علي وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الميت يعذب ببعض بكا اهله عليه قال ابن عباس فلما مات عمر ذكرت
ذلك لعايشة فقالت رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله ليعذب المومن ببعض بكاء اهله عليه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله ليزيد الكافر بكا اهله عليه وقالت حسبكم القرآن لا تزر وازرة وزر اخرى
قال ابن عباس عندك والله هو اضحك وابكى قال ابن ابي مليكة والله ما سمعت
عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على يهودية يبكى عليها اهلها فقال انكم لتبكون عليها وانها لتعذب في قبرها ورواه ايضا
البخاري عن ابي موسى الاشعري قال لما اصيب عمر جعل صهيب يقول واخاه فقال
عمر اما علمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت ليعذب ببكا الحي ورواه ايضا البخاري
عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمر عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الميت يعذب في قبره بما نيح عليه وقد ذكره ابن عمر في حديث آخر اما انه يكون
من كلام النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الواقعة واما ان يكون قد قاله لعلمه
بان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ففي البخاري عن سعيد بن الحرث عن عبد الله

بن

ابن عمر قال اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده
مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله
عنهم فلما دخل عليه فوجده في غاشية اهله قال قد قضى قالوا لا يا رسول الله
فبكى النبي صلى الله عليه وسلم بكوا فقال الا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين
ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا واشار الى لسانه او يرحم واذا الميت يعذب
ببكا اهله عليه وكان عمر يضرب فيه بالعصا ويرمي بالحجارة ويحثي ويرمي بالتراب
وقد اخبره به ايضا المغيرة سمعا من النبي صلى الله عليه وسلم ففي
الصحيحين عن المغيرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان كذبا علي ليس
كالكذب على احد من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار وسمعته
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من نيح عليه يعذب بما نيح عليه فهذا
الحديث قبله اكابر الصحابة مثل عمر وهو يحدث به حين طعن وقد دخل عليه
المهاجرون والانصار وينهى صهيبا عن النياحة ولا ينكر ذلك احد وكذلك
في حال امراته يعاقب الحي الذي يعذب الميت بفعله وتلقاه اكابر التابعين
مثل سعيد بن المسيب وغيره ولم يردوا لفظه ولا معناه واما الذين
ردّوه تغليطا للراوي فهم الذين غلطوا ففر الله لهم كيف وقد سمعه مع
الفاروق المغيرة وغيره كبير والسابقون الاولون لم ينكروه ثم لو رواه
بعض اعاظم الصحابة ثم لم يكن مردودا اما ذكر فان احد الحديثين الذين رواتهما عائشة
يوافق معناه وهو قوله ان الله ليزيد الكافر عذابا ببكا اهله عليه وام
المومنين هي الثقة المامونة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديقة بنت الصد
يق وهي من اعلم الصحابة واحفظهم لحديث النبي صلى الله عليه وسلم وهي حجة في ذلك
والحديث الذي رويته ان الله يزيد الكافر عذابا ببكا اهله يدل على ان الكافر
الميت يعذب ببكا اهله عليه فلو كان ذلك من باب حمل الوزر او الظلم لم يصح
في حق كافر ولا مومن واما اذا رات رأيا ورأي غيرها رايا فالمرد الى الله ورسوله
وهي لم تحتج الا بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وهذه الاية
لا تخالف الحديث فان الميت لا يحمل من ذنب الحي شيئا وهذا هو حمل الوزر وان
يوضع من ذنب المرء على غيره ليخفف عنه بل الناس يعذب على ما حته
كما في الحديث الصحيح ان النائحة اذا لم تتب قبل موتها فانها تلبس يوم القيمة

فلما راى القوم
بكى النبي صلى
الله عليه وسلم ح

ويقام وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وكذلك الاحتجاج بقوله هو
اضحك وابكى وجهله ان الله خالق الضحك والبكا وهو كابن بفير اختيار المرء فلا
يعذب على فعل الله الذي ليس من فعله كما لا يعذب على تمزيقه وتمويته وهذه
الجملة لا تخالف الحديث ايضا فان من الضحك والبكا ما يرضى الله به ويثني عنه وبهذا
قال الله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وقال ان الذين اجرموا
كانوا من الذين امنوا يضحكون فذمهم على ذلك وقال خروا سجدا وبكيا وقال
ويخرون للاذقان يبكون فجعل ذلك من اعمالهم الصالحة بل الفرح والحزن
قد يدخل تحت الامر والنهي استحبابا او ايجابا كقوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتاكم وقد ذم الله الفرح بغير الحق وامر بالفرح بالايمان ونهى عن الحزن
الذي يضر وذلك اصل الضحك والبكا فقال قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
وقال ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وقال اذ قال
له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقال
ولا تحزن عليهم وقال ولا يحزنك قولهم فنهى عن الحزن الذي يضر كالحزن على الكفار
الممكنين والحزن اذا غلب المسلمين او خافوا من عدوهم والحزن من قولهم
فان هذا الموطن يومر فيه بالثبات والقوة والقيام بالواجب من التبليغ
والجهاد والحزن يضعف عن هذا الواجب وما افضى الى ترك واجب نهي عنه
وكذلك ما شغل عن المستحب لم يكن حسنا واما الحزن على الميت ونحوه فيرخص
منه في الحزن ولا تقدير في حد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يواخذ
على دمع العين ولا حزن القلب وهذا هو الذنب لا يملكه العبد بل يكون بغير
اختياره على سبب غير محرم فلهذا لم يواخذ الله عليه كما قال ما كان من
العين والقلب فمن الله وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان فالذي
يخلقه الله وليس من مقدور العبد عفا عنه وهو الذي يجب القول به من
احتجاج ابن عباس وهو قوله ان الله اضحك وابكى فهذا هو من الله واما ما كان
من اليد واللسان فذاك مما يامر به الشيطان فيدخل تحت العقاب وان كان الله
هو خالق كل شيء ولولا هذا لم يعذب نائحة والنصوص كلها تخالف ذلك
كما تقدم في الحديث وكقوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لطم الخدود وشق
الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وقال ابو موسى انا بريء ممن برئ منه رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم بريء من الصالقة والحالقة والشاقة وكلاهما في الصحيحين
وقال الله تعالى ولا يعصينك في معروف وهي النياحة كما جاء مفسرة وهي مما اخذه
النبي صلى الله عليه وسلم على النساء في البيعة كما في الصحيح عن ام عطية قالت اخذ علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في البيعة ان لا ننوح فما وفت منا امراة غير خمس نسوة ولهذا
كانت النياحة محرمة على القول الصحيح الذي عليه جماهير العلماء وهو المنصوص عن احمد
وغيره وان كان بعض اصحابه وبعض الناس جعل فيه تفصيلا كالفقهاء فليس
كذلك بل جنس النياحة اعظم من جنس الغناء للنساء ولهذا كان الضرب بالدف
في الجناية منكرا بلا ريب حتى نص احمد على وجوب الارش في ذلك بخرق او غيره
وان كان النساء رخص لهن في الضرب بالدف في الافراح والنساء رخص لهن
في الغناء في مواضع ولم يرخص في النياحة قط بل السنن الصحيحة نهي عن النياحة
مطلقا والسلف انما كان ينوح في عيدهم النساء ولم يامر الله تعالى بالجزع قط ولا اثنى عليه
فالصوتان المنكران الاحمقان اللذان نهى عنهما النبي صلى الله عليه وسلم
صوت لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت لطم الخدود وشق الجيوب
ودعاء دعوى الجاهلية احدهما انكر من الاخر نعم اذا كان البكاء رحمة
للميت عليه فهذا احسن مستحب كما في الصحيحين عن اسامة بن زيد قالت
ارسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم اليه ان ابنا لي قبض فائتنا فارسل يقرئ
السلام ويقول ان لله ما اخذ وله ما اعطى وكل عنده باجل مسمى فلتصبر
ولتحتسب فارسلت اليه تقسم عليه لياتينها فقام ومعه سعد بن عبادة
ومعاذ بن جبل وابي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرفع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصبي ونفسه تتقعقع كانها شن ففاضت عيناه فقال سعد يا رسول
الله ما هذا فقال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء وهذا
يقتضي ان من لم يكن عنده رحمة للمتوجع بنزع او مرض او فقر او ظلم او معصية
اصيب بها ونحو ذلك فانه لا يرحم ولهذا جمع الله تعالى بين الصبر والرحمة
في قوله ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة فذكر التواصي
بالصبر وبالرحمة جميعا اذ المرحمة بلا صبر يكون معها الجزع والصبر بلا مرحمة يكون
معه القسوة فهذه الرحمة حسنة مامور بها واذا كان معها حزن لم يكن
به باس وان لم يومر به فقد قال يعقوب يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من

www.alukah.net

الحزن فهو كظيم وفي البخاري عن ثابت عن انس قال دخلنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ابي سيف القين وكان ظئرا لابرهيم فاخذه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه
فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف
وانت يا رسول الله فقال يا ابن عوف وانها رحمة ثم اتبعها باخرى فقال ان العين
تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى الرب وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون
وفي هذا الحديث رد على من كره البكاء فقال انما نهيت عن
صوتين احمقين فاجرين كما تقدم مع النبي صلى الله عليه وسلم ملاهم فيه اوما
يستحب من الرحمة والحزن والدمع وما ينهى عنه من النياحة ورفع الصوت
والندب وما يتبع ذلك مما ليس هذا موضعه اذ الغرض بيان معنى الحديث
وان ما في حجة ابن عباس من تدفع التكليف عما ليس مقدورا للعبد لا هو ولا سببه
يخالف الحديث بل قد بين صلى الله عليه وسلم الفرق بين النوعين وما
يواخذ الله عليه ومالم يواخذ ولفظ حديثه انه يعذب ببكاء اهله بالمد
او من نح عليه بعذب بما نح عليه والمعول عليه يعذب والنياحة والعويل والبكاء
بالمد يكون الامع الصوت الذي هو الصلق واما الدمع فهو بكاء بالقصر لا بمد كما قال
الشاعر بكت عيني وحق لها بكاها وما يغني البكاء والعويل فان زيادة
اللفظ لزيادة المعنى والفعال من امثلة الاصوات كالرغاء والثغاء والدعاء والحوار
والجوار والنباح والصراخ وكذلك التفعيل كالتضجيع والتجعير والهرير واما
القسم الثاني الذين تاولوا الحديث فهو لاء من المتاخرين لا من الصحابة
فان الصحابة عرفوا المقصود برواية بعضهم لبعض فلم يستقم لهم التاويل
وهو لاء جعلوا التعذيب على ذنب يفعله الميت فبعضهم جعله هو امره بالنياحة
وقصر الحديث على هذا كما يذكر عن المزني وبعضهم جعل ذلك اذا كانت النياحة
عادتهم ولم ينهى عنها فيعذب على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا
امثل التاويلات وهي تاويل البخاري صاحب الصحيح وجدي ابو البركات و
غيرهما وهذا ايضا ضعيف لانه خلاف مقتضى الحديث ومفهومه وخلاف
ما فهمه الصحابة الذين رووه وقصر لهذا اللفظ العام على صور قليلة فان
النياحة لم تكن من عادة المسلمين بعد نهي النبي صلى الله عليه وسلم بل كانت

قليلة وايضا فالاحياء الموجودة احق بالتعذيب على انكار المنكر من الميت
العاجز ولا اختصاص لتعذيبه على ما لم يسنه من النياحة بل ما يتركونه من
الواجبات ويفعلونه من المحرمات التي لم يامر ولم ينه عنها اعظم من
النياحة فتخصيصها لهذا السبب بعيد وايضا فان النهي يدل فلم يسمع
منه وحسبك بنهي النبي صلى الله عليه وسلم ومبايعته للنساء ونهيه لنسوة جعفر
كما في الصحيحين عن عايشة قالت لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم نعي زيد بن حارثة وجعفر
وابن رواحة جلس يعرف فيه الحزن وانا انظر من صايرة الباب فاتاه رجل فقال
ان نساء جعفر وذكر بكاهن فامره ان ينهاهن فذهب ثم اتاه الثانية فذكر انهن
لم يطعنه وقال لتنههن فاتاه الثالثة فقال والله لقد غلبننا يا رسول الله فزعمت
ام قال فاحث في افواههن التراب فقلت اي عم الله انفك لم تفعل ما امرك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم تزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من العناء ولهذا كان
عمر بن الخطاب يحثو في افواههن التراب لامر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك هذا مع
قوله فيهن يبكين على سليمان خالد بن الوليد ما لم يكن نقع او لقلقة وايضا فان
المحوج لهم الى هذا التاويل ظنهم ان ظاهر هذا الحديث عقوبة هذا المذنب
هذا وليس كذلك واما الطايفة الثانية الذين اعتقدوا هذا ظاهره
فخونات ان الله يعاقب الانسان بعمل غيره وهو لاء يقولون ان اطفال المشركين
يدخلون النار مع اباييهم وهذا قول طايفة من اهل الحديث والفقه و
الكلام من اصحاب احمد وغيره ويقولون ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وانه
لا يتصور منه ظلم اصلا ولا اشكال في الحديث اصلا ومن العجب انه يستشكله
كثير ممن يقول بهذا الاصل انما المخالف للقران ان تحط سيات غيره بلا معاوضة
وهذا ليس في الحديث والذي عليه اكابر الصحابة والتابعين هو الصواب فان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يعذب ولم يقل يعاقب والعذاب اعم من العقاب
قال صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب يمنع احدكم طعامه وشرابه
ونومه فاذا قضى احدكم نهمته من سفره فليعجل بالرجوع الى اهله وقد قال
ايوب عليه السلام اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فالعذاب هو الالم الذي
يحدثه الله تعالى تارة يكون جزاء على عمل فيكون عقابا وتارة يكون بتكفير السيات
فان ما يصيب المومن من نصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا اذى الا

الألوكة
www.alukah.net

كفر الله به من خطاياه اخرجاه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم فالعذاب
الذي يعذب به الميت في قبره من جنس الالام التي تحصل له في الدنيا وقد يكون
غير ذلك ولهذا روى عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي في
السنن انه قال لنسوة في جنازة ارحمن مازرات غير ماجورات فاكفن
تفتن الحي وتوذي الميت ولهذا في سنن ابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى ان تتبع الجنازة بصوت او نار وضرب عمر بن الخطاب نائحة فقيل له قد بدا
شعرها فقال انه لا حرمة لها انها تنهى عن الصبر وقد امر الله به ونهاه بالجزع
وقد نهى الله عنه وتفتن الحي وتوذي الميت وتبيع عبرتها وتبكي بشجو غيرها
انها لا تبكي على ميتكم ولكن تبكي على احذ دراهمكم وهذا الالم والعذاب الذي
يحصل للميت بالنياحة موجود كما دلت عليه احاديث مثل حديث عبد الله بن
رواحة فجعلت اخته تبكي واجبلاه وكذا تقدد عليه فقال حين افاق
ما قلت لي شيا الا قيل لي انت كذاك فلما مات لم تبك عليه ومثل هذا عرف عن غير
عبد الله بن رواحة فانه يوجد الميت يشتكي من تالمه ببكاء الحي عليه ويكشف
في المنام وغيره في ذلك لامور متعددة وقد يتعذب الحي بما يسمعه
ويراه ويشمه من احوال غيره فهذا امر موجود في الدنيا والاخرة ثم ذلك
الالم الذي يحصل للميت في البرزخ اذا لم يكن له فيه ذنب من جنس الصفطة
وانتهاره منكر ونكير ومن جنس اهوال القيمة يكفر الله به خطايا المومن ويكون من
عقوبة الكافر ولا ينقطع التكليف والعذاب الا بدخول دار الجزاء اما في الجنة فاما
في البرزخ وعرصة القيمة فيكون فيها هذا كله وايضا فمن عقوبات الذنوب
مايصيب غير المعاقب ويكون مصيبة في حقه كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا انزل الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان
فيهم ثم بعثوا على نياتهم وفي الحديث الصحيح يغزو هذا البيت جيش
فبينما هم ببيداء من الارض اذ خسف بهم فقيل يا رسول الله فيهم المكره قال
يبعثون على نياتهم وكذلك الجدب ونحوه مما يصيب غير المذنبين وكذلك ماثبت
في الصحيح من مناداة اهل القليب وقوله عليه السلام لهم هل وجدتم ما وعد
ربكم حقا وقول بعض الصحابة يا رسول الله اتدعو اقواما او قال قوما قد جيفوا
فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم وماثبت في الصحيح من قول عايشة انهم

الذي رواه البخاري في صحيحه عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال
سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ليعلمون الان ان ماكنت اقول لهم حق وقد قال الله تعالى انك لا تسمع الموتى
وفي الصحيحين عن عروة بن الزبير قال ذكر عند عايشة ان ابن عمر يرفع الى النبي صلى
الله عليه وسلم ان الميت يعذب في قبره ببكاء اهله عليه فقالت وهل انما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الميت ليعذب بخطيئته او بذنبه وان اهله ليبكون عليه
الان وذلك مثل قوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على القليب يوم بدر وفيه
قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال انهم ليسمعون ما اقول وقد وهل انما
قال انهم ليعلمون الان ان ماكنت اقول لهم حق ثم قرات انك لا تسمع الموتى
وما انت بمسمع من في القبور يقول حين تبوءوا مقاعدهم من النار وفي لفظ
البخاري عن نافع اذا ابن عمر اخبرهم اطلع النبي صلى الله عليه وسلم على اهل
القليب فقال وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل له تدعو امواتا فقال ما انتم
باسمع منهم ولكن لا يجيبون ومن المعلوم ان سمع الموتى قد ثبت بنصوص
متواترة من حديث انس وغيره ومثل قوله في الحديث المتفق عليه انه
ليسمع قرع نعالهم حين ينصرفون عنه مدبرين وقوله في حديث ثابت ما من رجل مر
بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرف الله عليه روحه حتى يرد عليه
السلام وقوله ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام
ومثل الاحاديث المتواترة في السلام على الموتى وهذا باب واسع
والحديث الذي مر وتم يوضح ذلك وهو انهم يعلمون فالذي يجوز ان يعلم يجوز
ان يسمع كما انا ما كان فان الموت ينافي العلم كما ينافي السمع والبصر فلو كان ما نفاه كان
ما نفاه للجميع ولهذا كان جماهير المسلمين على مقتضى الحديث فهذا ونحوه
من المسايل الخبرية العلمية التي هي من جنس مسايل الاعتقاد والاصول العلمية واما
في المسايل العملية فكثيرا ما مثل ما في الصحيحين لما سيل ابن مسعود عن
تيمم الجنب فنهى عنه فذكر له ابو موسى حديث عمار فقال الم تر عمر لم يقنع به
وذكر له اية التيمم فلم يجب بشيء غير انه قال لو رخصنا لهم في هذا لاوشك
احدهم اذا وجد الم البرد ان يتيمم ومعلوم ان حديث عمار مما يمكن
رده وعمر رضي الله عنه لم يرده على عمار ولكن نسيه وقال لعمار اوليك من
ذلك ما توليت يعني حدث به انت والاية لا يمكن تركها بهذا القياس
وهو ان تيمم الجنب مستلزم للتيمم عند البرد بل مثل هذا الذي يسميه

الفقها مصلحة مهدرة ثم يقال ان كان هذا القياس صحيحا لزم جواز التيمم
عند خوف التقرة بالبرد وهذا اللازم حق وقد سلك هذا طوايف من
المفتيين والمشايخ والامرا وغيرهم لكن من المعلوم ان الصواب الذي امرنا به
اتباع النصوص وان لا نرد ها بما نراه من مصلحة او مفسدة ولهذا اتفق ايمة
العلما على تيمم الجنب لدلالة الكتاب والسنة على ذلك في عدة احاديث كحديث
عمار وعمران بن حصين وهما في الصحيحين وعمر وابن العاصي وصاحب الشجة
وهي احاديث جيدة ولم يروا ان يتركوا ذلك لما يخالف من المفسدة بل يميزون بين المامور
به والمنهي عنه ثم التيمم مشروع عند عدم الماء وعند خشية الضرر باستعماله
كما في القرآن لحديث عمار ونحوه للقادم وحديث صاحب الشجة وعمر وللمتحرز
بمرض او خوف مرض فتاخير الصلاة مع الجنابة حتى يجد الماء قد نهى
عنه النبي صلى الله عليه وسلم في غير حديث وكذلك اغتسال المريض وقد قال
في صاحب الشجة قتلوه قتلهم الله هلا سالوا الا يعلمون فانما شفا العي
السوال ومع هذا فقد تاول خلق من ذلك من كان من اعيان الصحابة في حياة النبي
صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته وان الجنب لا يصلي والمتيمم لا يغتسل مع ضرورته
وكذلك كان ابو هريرة يحدث باحاديث فينكرها بفقههم ويرجعون الى الحق
مثل توقف ابن عمر عن قوله ان المصلي على الجنازة لم تفرط حتى سالوا
عايشة فروت ذلك ايضا وكذلك حديث فاطمة بنت قيس وحديث
بروع بنت واشق وامثال ذلك كثيرة مما علمنا احدا من الصحابة والتابعين
مع فضل عقلهم وعلمهم وايمانهم رد واحديث صحيحا وتاولوه على خلاف
مقتضاه لمخالفة ظاهر للقرآن في زمنهم والمخالفة المعقول او القياس الا كان
الصواب مع الحديث ومن اتبعه فكيف بمن بعدهم وهذا من معجزات
الرسول وايات حفظ دينه وشرعه وسنته وهذا خاصة الصديق
مع سايرالصحابة فانه لم يعرف له فتوى ولا كلام يخالف شيا من الاحاديث
بل كمل فيه التصديق حيا وميتا ولغيره من التاويل والاجتهاد ما هو
مثاب فيه على حسنته ومغفور له فيه خطاوه بل كان الصديق يبين لهم
من معاني النصوص اذا اعتقد وابقي ظاهرها ما لا يدل عليه وراى عدم
كما قال له عمر عام الحديبية الم يحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ناتي هذا

البيت ونطوف به قال اقال لك انك تاتيه هذا العام قال لا قال فانك اتيه ومطوف
به وكان عمر لما سال النبي صلى الله عليه وسلم اجابه بهذا الجواب وهو جواب
حق فان اللفظ مطلق لم يوقت فما فتخصيصه بذلك العام كان في ظن المستمع
لما راى حركة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين الى البيت ظن ان الوعد تنجز بهم
في ذلك العام ولم يكن ذلك في ظاهر لفظ الوعد وكذلك لما قال له عمر كيف تقاتل
الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على
الله تعالى فقال له ابو بكر الم يقل الا بحقها فان الزكاة من حقها والله لو
منعوني عناقا كانوا يودونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم
على منعها قال عمر فما هو الا ان رايت ان الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال
فعلمت انه الحق وهذا المعنى الذي ذكره ابو بكر هو مصرح به في الحديث الاخر
الذي في الصحيحين من رواية ابن عمر حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة فذاك الحديث ان جعل
معارضا لهذا فقد بين ابو بكر عدم المعارضة وبين ان الحجة فيه ايضا
بقوله الا بحقها اي لا تحل دماؤهم واموالهم الا بحقها اي لا تباح لي بالباطل
بل بحقها والزكاة هي من الحق الذي اوجبه الله عليهم فاما قاتلهم على هذا
الحق ثم بين بانهم لو تركوا من الحق شيا قليلا لقاتلهم عنه فقال والله
لو منعوني عناقا كانوا يودونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم
على منعها وكلا الحديثين حق فان الكافر المحارب اذا نطق بالشهادتين
حرم حينيذ قتاله ثم بعد ذلك ان اقام الصلاة واتى الزكاة والا قوتل عليها
كما بينه في الحديث الاخر ثم بعد ذلك ان تركوا شيا من حقها مثل
ان يستحلوا الربا او يمتنعوا من تركه او نحو ذلك كانوا قد حاربوا الله ورسوله
وقوتلوا ايضا على ذلك وانما هي مراتب فالكلمتان راس الاسلام من الكلام
والصلاة والزكاة هما راس العمل فتارة يذكر الاصل الذي هو الاعتقاد و
الكلام وتارة يقرن به الاصل الاخر من العمل والاقتصاد ثم يدرج ساير
الدين امر الله تعالى نبيه بالقتال عليه في قوله الا بحقها كما قال
تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فقوله عصموا مني

امرت ان

الذي

دماهم واموالهم الا بحقها كقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
وقوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ونظائر هذه المقامات للصديق كثيرة
يفقههم فيما خفي عليهم او ذهلوا عنه من معاني الكتاب والسنة كتلاوة قوله
تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم
وفي روايته لهم احاديث لم يعرفوها كحديث دفن النبي صلى الله عليه وسلم
وغيره وجوابه لهم فيما يشكل عليهم من معاني القرآن والحديث وبيان ان ظاهره
حق وان من ظن ان ظاهره ليس بحق فهو المخطي في ذلك وانه لم يوجد لله فتوى
ولا امر ولا كلام يخالف شيئا من النصوص كما وجد لغيره ولهذا حكى غير
واحد من العلماء اجماع اهل السنة والجماعة على انهم اعلم الصحابة فهو اعلمهم
واشجعهم واجودهم وادينهم باتفاق اهل المعرفة من المسلمين واعظم علم
وايمانه التصديق بالنصوص النبوية خبرا وامرا واتباعها وانه لا يعارضها
بشيء من تاويلاته وآرائه وهذا وكثير منه بين كان المتبعين للحديث
هم صديقوا هذه الامة والصديقون هم افضل الخلق بعد الانبياء ومن كان
منهم اعظم اتباعا له كان اعظمهم تصديقا واما الخوارجون عن السنة والجماعة
فاما ان يكون من جنس ذي الخويصرة وامثاله من الخوارج واما ان يكونوا من
جنس عبد الله بن ابي وامثاله من المنافقين واما ان يكونوا من جنس مسيلمة
الكذاب واتباعه المرتدين الذين جعلوا مع الرسول نظيرا له واما ان يكونوا
من جنس مانعي الزكاة وامثالهم ممن اقر ببعض واجبات الدين وبعض ما جاء
به الرسول دون بعض وهذا امر مطرد لا يخرج احد عن شريعة النبي
صلى الله عليه وسلم وسنته وجماعة المسلمين المقرين بالشهادتين الا وهو اما منافق
واما مبتدع مارق كالذين كانوا في عهده واما مرتد عن بعض دينه واما
جاعل معه نظيرا له وهما متلازمان فان من جعل معه نظيرا لا بد ان يرتد
عن بعض دينه ومن ارتد عن بعض دينه فلا بد ان يطيع في ترك ذلك البعض
لغيره وهؤلاء من المرتدين الذين قاتلهم الصديق والصحابة كالحنفيين والخوارج
هم الحرورية الذين قاتلهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب واصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بامر النبي صلى الله عليه وسلم ونصوصه لا بالاجتهاد والرأي والتاويل
واما المنافقون فانهم وان لم يقاتلوا اذا لم يظهروا الا الطاعة لله ورسوله

فهم

فهم في الاخرة في الدرك الاسفل من النار فهذا حال المحاربين والمسالمين
من الخارجين عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين من
المقرين بالشهادتين فاما من لم يقر بالشهادتين من المشركين واهل الكتاب
فامره ظاهر واما الفرض من قد يشمله لفظ مسلم لظهور اسلامه بالشهادتين
وان كان الايمان لم يدخل قلبه او كان في قلبه مرض او قد ارتد عن بعضه
فهذا هذا والله اعلم وقد تبين بذلك ان الاحاديث النبوية في
الصحاح منها ومنها شيا وفهم ما ظاهره معنى يعتقد انه مخالف للقرآن
او للعقل فمن نفسه اتى وان المقربين للنصوص هم ارفع الخلق واعلاهم
طبقة اذ جمعوا المعرفة من الخطاب والفهم فان الصديق رضي الله عنه
كان اعلمهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم وافهمهم لمعان زائدة من الخطاب
لانه استفاد بحر الدقة والفهم باللسان بل هي من الفهم الذي يوتيه الله
عبده كما في الصحيحين عن ابي سعيد قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد
ما عند الله فبكى ابو بكر وقال بل نفديك بانفسنا فقلت في نفسي ما يبكي هذا
الشيخ ان يكون الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند
الله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك العبد وكان ابو بكر اعلمنا به فقال
يا ابا بكر لا تبكين ان امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ومودته لا يبقين في المسجد خوخة
الا سد الا باب ابي بكر وكذلك رواه البخاري عن عكرمة عن ابن عباس
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصبا راسه
بخرقة فقعد على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان ليس احد في الناس
امن علي في نفسه وماله من ابي بكر بن ابي قحافة ولو كنت متخذا من الناس
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام افضل سدوا عني كل
خوخة في هذا المسجد غير خوخة ابي بكر وقد كان هذا الجنس من
الاستشكال والمعارضة يرد على النبي صلى الله عليه وسلم في حياته فتبين
عدم وروده مثل ما في الصحيحين عن عائشة قالت قال النبي صلى الله
عليه وسلم من نوقش الحساب عذب قلت يا رسول اوليس يقول الله تعالى

الألوكة
www.alukah.net

في كتابه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال
ذلك العرض ولا يناقش حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يعارض هذه
الاية فانما قال من نوقش الحساب عذب والاية انما فيها ذكر الحساب اليسير ليس
فيها المناقشة لكن لما اثبت القرآن حسابا للسعيد ظن السامع ان ذلك من المناقشة
في الحساب وليس كذلك فزاده النبي صلى الله عليه وسلم بيانا ان ذلك الحساب اليسير
هو العرض وهو ان تعرض عليه اعماله ليعلمها ويعلم رحمة الله له بالعفو عنه
كما في الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يدني
كنفه على عبده المؤمن يوم القيامة فيقرره بذنوبه فيقول يوم كذا وكذا اكذا وكذا فيقول نعم
يارب فيقول اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم واما الكفار والمنافقون
فينادى بهم على رؤس الخلايق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على
الظالمين فحساب العرض والتعريف ليس هو المناقشة وانما المناقشة تكون
عند المؤاخذة والمقابلة اذا وزنت حسناته بسيئاته من غير عفو ولا مغفرة
ومثل هذا حديث حفصة لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد
بايع تحت الشجرة وقالت اليس الله تعالى يقول وان منكم الا واردها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ثم ننجي الذين اتقوا فبين ان هذا الورود ليس هو
الدخول المنفي اذ هو المرور على الصراط فهو اما ان لا يسمى دخولا واما ان لا يدخل
في مطلق دخول النار فاذا كانت الاحاديث الصحيحة الجزمة والطلبية
في الاصول والفروع لا يعلم منها حديث اصاب من عارضه او خالف
ظاهره بغير حديث اخر فكيف يكون القرآن وهذا هو سنة الملة التي
يستشكلها كثير من الناس من كلام الشافعي وهو ان القرآن لا ينسخ السنة
وقد وافقه على ذلك اصحاب احمد في احد القولين وهو احد الروايتين عن
احمد واظهر النافي قوله وان كان كثير من اصحابه على الاخرى حتى قال طايفة
من اصحاب الشافعي واحمد ان القرآن لا يخص عموم السنة ولا يبين القرآن
السنة وهذا معنى ما يروى عن غير واحد من السلف انهم
قالوا السنة تقضي على القرآن والقرآن لا يقضي على السنة وسئل الامام
احمد عن ذلك فقال لا اجترئ هذا اللفظ ولكن السنة تفسر القرآن وتبينه
وتدل عليه وتعبر عنه فقد ل عن لفظ تقضي عليه لانها تشعر المخاطبين

في ز منه بانها اعلا منه الى لفظ البيان والتفسير وهذا هو الذي قصده
اولئك وقولهم تقضي على بمنزلة قول الفقها ترجح الخاص على العام وان كان
الخاص دون العام في الحرمة وكثير من اهل الكلام والفقه ينكرون هذا ويقولون
كيف لا يكون الدليل الاقوى ناسخا ومخصصا لما دونه ولم يفهموا مراد من قال ذلك
من الايمة فانهم قالوا اذا سن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة وجا القران
بنسخها فلا بد ان يكون من النبي صلى الله عليه وسلم من طاعة كتاب
الله ما يخالف السنة الاولى فلا تكون السنة منسوخة بالقران الا ومع القران
سنة توافقه وهذا حق وكذلك قال من قال السنة هي المفسرة للقران المبينة له
فكيف يكون القران مفسرا لها مبينا لها ومقصودهم بهذا الرد على من يعارض
سنة النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة الصريحة بما يظنه هو ناسخا لها من
ايات في القران فيقال له لو كانت منسوخة لكان في السنة ما يبين ذلك
كما قال يزيد بن عبد الله بن الشخير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ينسخ
بعضه بعضا كما ينسخ القران بعضه بعضا ولهذا كان ظاهر مذهب احمد وهو
مذهب الشافعي ان القران لا ينسخه الا قران لا ينسخه بخبر والسنة ايضا
وان كانت السنة مفسرة له ومبينة له بلا نزاع وقد خالفهم
في ذلك اكثر اهل الكلام وطوايف من الفقها وهو الرواية الاخرى عن احمد التي
يختارها اكثر اصحابه وهذا النزاع في جواز ذلك واما الوقوع فلا اعلم
قالي ساعتي هذه حديثا صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم يجب تركه
لاحديث صحيح يعارضه ناسخا ومفسرا الا اعلم ما يجب تركه من الحديث الصحيح
لمخالفة ظاهر القران او لعقل او نص للقران الا ان يكون قد جا حديث اخر
يخالفه كما قاله الشافعي رضي الله عنه فانه كان من ابصر الناس باصول الفقه
واعلمهم بالجمع بين النصوص المتعارضة ناسخها ومنسوخها ومجملها ومفسرها
ولهذا تكلم على مختلف الحديث وكان يدعى بغداد ناصر الحديث وصح
بما ذكره فروى شيخ الاسلام في كتاب ذم الكلام عن الربيع قال سيل
الشافعي باي شي يثبت الخبر قال اذا حدث الثقة عن الثقة حتى ينتهي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يترك له حديث الا حديث واحد
يخالفه حديث فذهب الى اثبت الروايتين ويكون احدهما منسوخا فيعمل

الألوكة
www.alukah.net

بالناسخ وان تكافيا اذهب الي اشبههما بكتاب الله وسنة نبيه فيما سواهما
وحديث رسول الله صلي الله عليه وسلم مستفيض بنفسه واذا كان يروي
عن من يخذ دونه حديثا يخالفه لم التفت اليه وحديث رسول الله صلي الله
عليه وسلم اولي ولو علم من روي عنه خلاف سنة رسول الله صلي الله
عليه وسلم اتقيها ان شاء الله وله وللامام احمد وغيرهما من الايمة
من الكلام ما لا يفهم عنه كثير من الناس كما لايمة السلف قبلهم فتجد
من يفتي بظاهر من القول ممن لم يطلع بعض المتاخرين واصطلاحهم
لا يعرف اصطلاحهم ولا يعرف مقصدهم ومغزاهم بل ربما عجمة عن اللفظ
والمعني جميعا ولهذا كان هؤلاء الايمة الذين اشتهر وا بالامامة في
الحديث مثل الشافعي واحمد واسحق وابي عبيد وغيرهم من ايمة الاقاليم
طريقتهم انهم لا يردون شيئا من الحديث الصحيح لا في المسايل الخبرية
ولا الشرعية لا في الاصول ولا في الفروع لا يردونه لمخالفة ما يظن في قياس
او معقول او لمخالفة ظاهر من القرآن كما بيناه انه لا يوجد حديث صحيح
مستحق الرد بل كل حديث يعارضه لكن قد يغلط الرجل اصله احيانا في وجه
الغلط وكذلك اصول سايرالايمة وجميع السلف علي ان الاخبار
الصحيحة مقبولة في جميع ابواب العلم الخبرية والعملية الاصول و
الفروع لم يكن في السلف ولا في الايمة من يرد الخبر في باب من ابواب العلم
بانه خبر واحد ولم ينشأ ذلك الا من اهل البدع ولهذا ما زال
علماء السنة يقبلون الخبر الصحيح ويبينون اتفاق الاخبار المتعارضة
عند بعض الناس ووضع كل حديث موضعه وان من الاحاديث كما جاء
لا ترد بتكذيب ولا بتحريف ولم يكن في ايمة المسلمين من يقول هذا خبر
واحد في المسايل العلمية فلا يقبل او هذا خبر واحد مخالف للعقل
فلا يقبل ومن قال شيئا من هذا عدوه من اهل البدع لكونه يعارض
السنة الصحيحة بما لم يجئ عن الرسول وكلام الرسول لا يعارضه الا كلام
الرسول لكن قد كان بعضهم يعارض الخبر المنفرد بما يظاهر
من القرآن واما بما يعتقده من الاجماع ونحو ذلك من الادلة الشرعية
فهذا قد كان يقع في بعض السلف كقول عمر لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا

لقول

لقول امراة لا ندري هل حفظت او نسيت وقول مروان فنأخذ بالعصمة
التي وجدنا عليها الناس وما ذكر عن عايشة في مواضع منه وبعض
الحديث بظاهر من القرآن وكذلك ما يوجد في مذهب اهل المدينة
من تقديم العمل الذي يجعلونه اجماعا علي الخبر ويستدلون بذلك علي
نسخه فهذا ونحوه قد كان يقع من بعضهم وما علمت الله وقع من
ذلك شيء الا والصواب خلافه كما تقدم التنبيه عليه ولهذا قال الامام احمد
اذا روي الخبر الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم فهو سنة يجب اتباعها
ولا يلتفت الي غيره من قياس او عمل وكان هو وغيره من الايمة يجعلون
من اكابر اهل البدع من يرد الاخبار الصحاح في الامور الخبرية او العملية في اصول
او فروع ولهذا كان الشافعي يقول دايما اذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحايط
وكان يقدم الخبر الصحيح علي كل ما يدعي من هذه المعارضات وهذا القدر انما
استفاد ايمة الحديث لا بما عرف به وبصحته فعندهم من اليقين بصحته ما
ليس عند غيرهم ممن لم يعلم منه ما علموه وقد علموا من ضعف المعارض
ما لم يعلمه غيرهم ولهذا انفرد غيرهم بذكر احاديث مستفيضة متلقاه
بالقبول واحاديث ضعيفة او موضوعة والجميع عنده من جنس واحد
وهو خبر واحد فيقبل هذا الجنس الذي فيه الحق والباطل مطلقا اذا وافق
بعض اصوله ويخالفونه اذا خالف بعض اصوله وهؤلاء يدعون من اهل
الحديث بل المردود علي هذا من فعل اهل الاهواء والبدع كما قال وكيع بن الجراح
من طلب الحديث كما جاء فهو صاحب سنة ومن طلبه ليقوي به رايه فهو
صاحب بدعة ويروي عن وكيع وعبد الرحمن بن مهدي احدهما
قال اهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم واهل الاهواء لا يكتبون الا ما لهم
وهذا حق فان الذي يقبل من الحديث ما وافق رايه وهواه بمنزلة
الذين يقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولي فريق منهم من
بعد ذلك وما اولئك بالمومنين واذا دعوا الي الله ورسوله ليحكم
بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين
افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المومنين اذا دعوا الي الله ورسوله

قوله

الألوكة
www.alukah.net

ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون وعن له الذين
قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب
سماعون لقوم اخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون
ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته
فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم
لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم سماعون للكذب اكالون
للسحت الاية ولهذا كان طائفة من اهل الحديث لا يحدثون بحديث
النبي صلى الله عليه وسلم لاهل الاهواء لانهم لا يقبلونه على وجهه
بل يقبلون منه ما وافق آراءهم واهواءهم لموافقته لاهوائهم واهوائهم
لا تكون في نفسها من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فيصيرون
بمنزلة اهل الكتاب والمنافقين الذين يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه
وان لم تؤتوه فاحذروا وهؤلاء قد خير الشارع عليه السلام بين
الحكم بينهم وتركه وقد يكون الترك اصلح كما قد يكون الحكم اصلح
وهذا حال جميع اهل الاهواء في الحديث وهو حال كثير منهم
في القرآن في المواضع التي يزعمون انها لا يقبل الا بعقلهم مثل
مسايل التوحيد والصفات والقدر ونحو ذلك مما يقع فيه خلاف
من المتكلمة والمتصوفة لا يريدون ان يحتجوا بالقرآن للاعتماد بل
للاعتضاد ولهذا يقبلون الايات الموافقة لظنونهم واهوائهم
التي يسمونها معقولات ويجعلون الايات المخالفة لهم من المتشابهات
التي لا يحوز اتباعها ولهذا كان السلف يسمونهم اهل الاهواء
وهو موجود ايضا في غالب الخلق من العامة والامراء ومن دخل فيهم من
المشايخ والملوك ونحوهم في كثير من امور الدين القولية والعملية وان
كانت مما يسوغ فيه الاجتهاد فان من اعتقد قولا او عمل وصار لا يحب
من نصوص الكتاب والسنة وادلة الحق الا ما وافق هواه في ذلك
القول والعمل ويبغض الحق الذي يخالفه فهو صاحب هوى وكذلك
لو علم ان قوله وعمله اصح ولم يعط مما نازعه ما يستحق من الحق بل

زاد

زاد في ذمه على ما شرعه الله ورسوله كان صاحب هوى وهذا هو اصل
التفرق بين اهل الاهواء قديما وحديثا فان اتباع الهوى بعد ظهور
الحق بغي قال الله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم
البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا
الصلوة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وهذه اية عظيمة في سورة
عظيمة امر الله رسوله ان يحض ابيا لتبليغها له وقراتها عليه ليستمعها
وتلقنها هو محض من النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان الله امرني ان
اقرا عليك هذه السورة قال او سميت قال نعم فبكى ابي فاخبر تعالى انهم
وما امروا به بعد قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها
كتب قيمة وينبغي ان يتدبر المؤمن قوله وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة فان الله اخبر انه لم
يامرهم الا بهذا وان هذا هو دين القيمة وهكذا في جميع الرسل حتى ان خاتم
الرسل اخبر انه امر بقتال الناس على هذا فقال في الحديث المتفق عليه في
الصحيحين امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وان يقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة وفي رواية حتى يعبدوا الله وحده هذا
تحقيق قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ولهذا
قال سبحانه واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة
يعبدون وقال وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
وقال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
وقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر سبحانه انه خلق الخلق
لعبادته وارسل جميع الرسل تامر بعبادته وحده ولذلك وصف
المؤمنون الذين ظلموا كقول مؤمن ال فرعون اتقتلون رجلا ان
يقول ربي الله وقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان
الله لقادر على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان
يقولوا ربنا الله وامر خاتم الرسل مع دعوته جميع الناس
الى ذلك ان يقاتل جميع الناس على ذلك واباح لمن امتنع عن

الألوكة
www.alukah.net

عبادة الله وحده ان يسترقه ويستعبده ويستغني ماله فان الله انما خلقه
لعبادته وجعل المال عونا على عبادته وطاعته فاذا امتنع من عبادة ربه اباح ان
يبقى المال الى عبادة المومنين الذين يعبدون الله وحده فانتم المستحقون لذلك
في دينه الذي هو عبادته وحده وان يسترقوا تلك الانفس فان حدمتها لمن يعبد
الله خير من عبادتها لهم فسبب الرق سبب الكفر وهو من العقوبات
والعقوبات لا تسقط بحر والتوبة بعد القدرة ولهذا كان المحارب اذا اسلم
قبل القدرة على عصم دمه وما هو في سلطانه من ولده الصغار وماله كان
حراما كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للاسير العقيلي لما قال اني مسلم
اما انك لو قلتها وانت تملك امرك افلحت كل الفلاح واذا اسلم بعد القدرة
على عصم دمه فقط لان الاسلام هو المطلوب بالقتال ولهذا من كانت
ردته محاربة فاسلم بعد القدرة عليه عصم ايضا دمه لان الاسلام
يجب ما قبله من عقوبة الكفر ولهذا لما كان الله تعالى انما خلق العباد له
وحده لا شريك له وبذلك بعث رسله وانزل كتبه كان الخروج عن ذلك
بالكلية وهو الشرك غير مغفور كما قد بين في غير هذا الموضع وكان معه
مثقال ذرة من ايمان يخرج من النار والعبادة اصلها عبادة القلب وهي
غاية الذل بغاية الحب وذلك انما يكون بشعور في القلب وعلم واحساس
وبارادة وقصد واختيار فالمستكبر عن عبادة الله تعالى ليس بمسلم
والمشرك الذي يعبده ويعبد غيره ليس بمسلم والاسلام يضاد الاستكبار
والاشراك جميعا ومن المعلوم ان كل من اعرض عن عبادة الله وحده فلا
بد ان يهوى قلبه ويحب شيئا آخر فان العبد كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم اصدق الاسماء الحرث وهمام هو همام لا بد له من نية وهمة
اول النية فالهمة من هم مثل النية من نوى وهي الفعلة يراد بها نوع
من الارادة ويراد بها نفس الشيء المراد اذا المصدر يطلق على المفعول
فنفس المنوي المقصود يقال له نوى وقصد كما يقال هذه النوى للجمرة التي
يقصدها الملسانون وكل من لم يعبد الله وحده فانما يعبد هواه اي
ما يهواه فانه اذا كان هواه مريدا ولم يرد الله فلا بد ان يريد غيره
وذلك هو هواه والهوى يقال له المهوى المحبوب كما يقال النوى

والنية

والنية القصد للمنوي المقصود كما تقدم فلما كان كل من لم يعبد
الله فانما يعبد هواه وما يهواه ويحبه نفسه قال تعالى افرايت من اتخذ
الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او
يعقلون انهم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وقال افرايت من اتخذ
الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة فمن يهديه من بعد الله فاخبر انه جعل الهه الذي يعبده
هو ما يهواه ويحبه ولهذا قال الفقهاء في صفة المشركين يعبدون ما
يستحسنون وقد اشرنا الى هذا المعنى في قول ابراهيم لا احب
الافلين ومن المعلوم ان الحي متى اتبع ما يهواه بلا علم كان ضالا بمنزلة
الذي يتحرك ويسير لا يدري الى اين ولهذا قال تعالى وان كثيرا ليضلون
باهوائهم بغير علم وقال ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله
ان الله لا يهدي القوم الظالمين فمن لم يرد الله بعلمه وقوله
فهو صاحب هوى ومن اراده ولم يسلك الطريق التي شرعها فهو
صاحب هوى ولهذا كانت سيما اهل البدع انهم اهل الاهواء ولهذا
كان الواجب ان يكون العمل لله وان يكون على السنة وهذا مقصود
الشهادتين شهادة ان لا اله الا الله وشهادة ان محمدا رسول الله
فان عبادة الله وحده لا شريك له هو اخلاص الدين له واتباع رسوله
فيما بلغه عنه من الشريعة هو العمل بالسنة وذلك هو العمل الصالح
ولهذا كان عمر بن الخطاب يدعو فيقول اللهم اجعل عملي كله صالحا
ولا تجعل لاحد فيه شيئا وهذا تاويل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقال الفضيل
ابن عياض في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا قال اخلصه واصوبه قالوا
يا ابا علي ما اخلصه واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا
لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا
والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة يعني ان يكون
مما شرعه الله وهو ما امر به امر ايجاب او استحباب فان اراد غير
الله لم يكن عابدا لله سواء عبد هما جميعا او عبد ما دونه فقط كما

الألوكة
www.alukah.net

ثبت في الصحيح ان الله تعالى يقول انا اغنى الشركاء فمن عمل عملا فاشرك فيه غيري فانا منه بريء وهو كله للذي اشرك ومن عبده بما ليس من الواجب والمستحب الذي يحبه لم يكن عمله حسنا ولا صالحا ولا خيرا فان كل حسن وكل صالح وكل خير فالله يحبه ويامر به ويشرعه وهو من شرعته وسنته وسبيله ومنهاجه فما لم يكن من المشروع لم يكن من المحبوب ولا من الحسن وان كان قد يكون من المشروع مما يعتقد قوم انه ليس منه كما قد يكون في غير المحبوب ما يعتقد قوم انه منه واذا كان كذلك فما جعله الله سبحانه في الانسان من المحبة والبغضة ما يستعين به على المحبة المقصودة لنفسها وهي عبادة الله وحده مثل محبة الاكل والشرب والنكاح وبغض الموذيات ان فعله بنية الاستعانة على ما خلق له كان داخلا في عبادته وكان له عليها الاجر كما قال صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في في امرأتك وقال نفقة المسلم على اهله يحتسبها صدقة بل نفقة الرجل على نفسه وعياله افضل من نفقته على من لا تلزمه نفقته لان ذلك واجب وما تقرب العباد الى الله بمثل اداء ما افترض عليهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت وقال خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدا بمن تعول وقال ايضا يا ابن آدم انك ان تنفق الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف واليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول وكل هذه الاحاديث في الصحاح وقال دينار انفقته في سبيل الله ودينار اعطيته لمسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الذي انفقته على اهلك وهذا حديث ثابت ايضا ولكن اكثر الناس يفعلون ذلك طبعا وعادة لا يتقربون به وجه الله تعالى كما يفعلون في قضاء الدين من اثمان المبيعات والقروض وغير ذلك من المعاوضات والحقوق وهذه كلها واجبات فمن فعلها ابتغاء وجه الله كان له عليها من الاجر اعظم من اجر المتصدق ناقلة لكن يتصدق احدهم بالشيء اليسير على المسكين وابن السبيل

ونحو

ونحو ذلك لوجه الله تعالى فيجد طعم الايمان والعبادة لله ويعطي في هذه الوفاء فلا يجد في ذلك طعم الايمان والعبادة لانه لم ينفقه ابتغاء وجه الله فمن هذا الوجه صار في عرفهم ان هذه النفقات التي لا بد منها ليست عبادة وقد لا يستشعرون ايجاب الشارع لها وانما يستشعر احدهم ما في تركه من المضرة العاجلة اما في نفسه واما من جهة الخلق فانهم لا يتركون حقوقهم فهو يفعلها لرغبتهم ورهبتهم وللعادة التي هو عليها وقد يفعلها محبة للحق ورغبة فيه من غير ان يرجو احدا وكما تحامله ومن غير ان يفعلها تعبدا وهذا حسن لا باس به فان من فعل الحسنات لانها حسنات نفعه ذلك كما ينفع الحيوان اكله وشربه لكن لا يكون عبادة لله يحمد من لا يفعله الا خوفا من الخلق فان هذا مذموم ولهذا قيل للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ليرى مكانه فاي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وهذا يكون في القتال باليد واللسان وانفاق المال وذلك كله يكون جهادا لكن ما ليس في سبيل الله منه ما لا يعاقب على الرياء ومنه ما يعاقب عليه والمقصود هنا ان هذه الامور العادية المباحة تفعل لمحبة وهوى وارادة فان كان ذلك يستعان بها على عبادة الله كانت طاعة وعبادة وان كان ذلك لمجرد العادة والطبع على الوجه الحق لم يكن ذلك معصية ولا اثما وان لم يقصد بها صاحبها التعبد لله فقولنا كل من لم يقصد الله ويريده بعمله فلا بد ان يقصد غيره ويعبد هواه ليس هو في هذه الامور التي تراد لمصلحة الجسد وهي مشتركة بين المؤمن والكافر وكلاهما يستعين بها على دينه وقد يقال لها الامور الدنيوية ومصالح الدنيا وهي الدماء والاموال والاعراض التي جعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحج الاكبر وقال ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وقال ليبلغ الشاهد الغائب وهذا الحديث من اشهر الاحاديث التي في الصحاح من حديث ابي بكرة وابن عباس وابن عمر ويمنع ذلك الانتفاع ومنافع الاعيان من الاموال والاثمان فان هذه لا تخرج

بيان رهبتهم

حـ مطلب في فصل النفقة على العيال

عن النفوس والاموال وانما هو فيما يكون مراد القلب ومقصوده الذي
ينتهي اليه قصده وارادته اذ هذه الامور تراد لغيرها والي تابعة
لمرادها وخادمة له فذلك هو الدين وقد امر الله تعالى ان يكون الدين
كله لله وامر بقتال الخلق حتى يكون الدين كله لله وهو نوعان
اقوال من جنس الاعتقادات العلمية وافعال تتضمن الارادات العلمية
فهذان الصفان يجب ان يكونا لله وحده وان يكون ما حرم الله ورسوله
ورسول الله فان الدين هو شهادة ان لا اله الا الله وشهادة ان محمدا
رسول الله فمن قصر بالاعتقادات الدينية والاعمال الدينية
لغير الله فهو مشرك في ذلك والشرك في هذه الامة اخفى من دبيب
النمل والناس كما قال الله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
وان كان شرك دون شرك وكفر دون كفر لكن تعلم من كان هكذا الله
ليس دينه كله لله بل بقصده لغير الله وعلى ان يكون دينه كله لله
وان ما لم يكن من دينه لله فهو فيه متبع هواه ولهذا كان امر
التوحيد واخلاص الدين لله هو مقصود القرآن وهو الذي
يعظم امره ويكثر ذكره فان العبد محتاج اليه في كل وقت وفي كل شئ
والرياء والسمعة وان كان فيه شرك كما جاء في الحديث من يصلي يراي فقد
اشرك ومن صام يراي فقد اشرك وجاء ايضا في الصحيح من سمع سمع
الله به ومن راءى راءى الله به فلا ريب ان المراي يكون عمله
حابطا فلا يثاب عليه وشركه دون شرك الذي يعتقد دينا ويقصده
لغير الله فان المراي والمسمع يعلم من نفسه انه انما فعل وقال
ليراه الناس ويسمعوا ذلك فهو يفعل ذلك للرغبة اليهم والرهبة وليس
ذلك عنده دينا يتقربون به اليه الا ان يكون ممن ينال له بعض
البشر كعباد فرعون والدجال وعباد بعض المشايخ والملوك وغيرهم
فهذا شرك عظيم لكن لا يكون في مسلم صحيح الاسلام وان كان قد
وقع منه شئ كثير من المنتسبين الى الاسلام ولا ريب ان ذلك
اذا وقع كان من اعظم الشرك وهذا لا يفعله الا معبوده لا يراي
به غيره واما الرياء الذي يقع من منافقي هذه الامة وذوي

المرضي في قلوبهم فهو الذي قصدنا انه لا يتخذ دينا في الباطن وان كان
شركا وانما الذي يتخذ دينا ما يحبه المرء وما يهواه ويدين به
سرا وعلانية فهذا الذي يقصد به وجه الله وطاعة رسوله
كان ذلك اتباعا لهواه وكان خارجا عن موجب الاسلام في هذا
الموضع وان كان في موضع اخر واخلافيه وبهذا يتبين ان كثيرا
من الاحبار والرهبان والفقهاء والعباد يأكلون اموال الناس بالباطل
ويصدون عن سبيل الله وان العالم الذي يعتقد الاعتقاد في
المسايل الخبرية والعلمية والعابد الذي يتعبد لنفسه ان لم يسلكا
السبيل المشروعة والا كان كل منهما متبعا لهواه فان العالم يامر
ويبني ويخبر والامر والنهي يتضمن الحب والارادة والبغض والكراهة
في نفس الدين فان لم يكن الحب لله والبغض لله في الدين والا كان
هويا وشركا والاخبار يتضمن الامر باعتقاد الخبر ولهذا لما تنازع
الناس هل يسمى الفقها ونحوهم من اهل الاهوا فجعلهم منهم
طايفة كابي حامد الاسفراييني والقاضي ابي يعلى وابت ذلك
طايفة كابن عقيل كان التحقيق ان غالبهم لهم هوى لكن ليسوا من
اهل الاهوا المطلقة المفارقة للسنة والجماعة فلهذا على
المسلم ان يتلقى ما جات به الرسل على وجهه فيريد الله بجميع
ذلك والاوقع في بدعة وشرك واتباع هوى بلا ريب وان كان
مخالفة اعظم منه في ذلك فانهم يكونون مفرقين والله تعالى انما
امرهم ان يعبدوه مخلصين لله الدين فكل ما دخل في الدين
يجب ان يخلص لله لا لغيره فيكون الجزء دين المرء كله لله كما ان الدين
في نفسه كامل لا نقص فيه ولا تناقض كما بيناه وان نصوص الكتاب
والسنة لا يحتاج الى غيرها اصلا كما ذكرناه اولا فان ذكر احد قوله
او ليت من كل شئ وقوله تدمر كل شئ ونحو ذلك من العمومات
والظواهر التي يعلم انتفا المعنى الذي لم يرد منها بالحس والعقل
فيقول هذا فيها طريقان من الناس من يقول في على ظاهرها
وظاهرها عند المعنى الصحيح المتفق عليه ولهولا ما خذان احدهما

حكاية الرياء والسمعة

ان القرينة المتصلة بالنفظ اذا كانت لفظية بينت معناه وكان ظاهره
ما دلت عليه قالوا وكذلك القرينة المتصلة وان لم تكن لفظية فالحس
والظاهر والعقل الذي يعلم به ان المخاطب لم يرد بكلامه ما يخالفه
عندهم قرينة متصلة اذ لا يظن المستمع بالمخاطب انه اراد ذلك
ومن المعلوم ان فهم الخطاب لا بد فيه من علم المخاطب والمخاطب
جميعا فكما ان علم المخاطب المستمع ان المخاطب المتكلم لا يريد بلفظه
الا مفهومه ومعناه فوجب لا يحمله على غيره فكذلك علم المخاطب
المتكلم ان المخاطب المستمع لا يفهم الله اراد ما يخالف حسه وعقله
قرينة وضميمة يضمها الى كلامه والماخذ الثاني ان لفظ كل
شي هو العموم في كل موضع بحسب سياقه وهذه قرينة متصلة
ولهذا قالوا هذا اللفظ ليس على عمومه المطلق الا في قوله ان الله
بكل شي عليم مما يصلح ان يعلم وخالق كل شي مما يصلح ان يخلق و
تدمر كل شي مما يصلح ان تدمر واوتيت من كل شي مما يوتاه مثلها
فهذه القيود عندهم معلومة في هذا اللفظ بالسياق وهذا
حقيقة عرفية في هذا اللفظ لم تستعمل الا فيه قالوا ولم يجده
مستعملا مطلقا قط الا ان السياق اقتضى ذلك واما الطريق
الثاني ان يسلم ان ظاهر هذه الالفاظ هو المعنى الذي يمتنع ارادته
لكن يقال قد بين الله بخطاب اخر انه لم يرد المعنى الممتنع فقد
بين بما ذكره من قصة سليمان انها لم توت ملك سليمان ونحو
ذلك وبين في القصة انها كانت ملكة سبا وللمولد حد لا يتجاوزونه
فيعلم بهذا الخطاب انها لم تملك السموات ونحوها وكذلك تدمر كل
شي مع ما اخبر به واذا كان في القرآن ما يبين عدم ارادة الظاهر
كان هذا من بيان الله ورسوله ولم يكن الله ورسوله تركوا بيان
كلامه فاما اذا كان الظاهر ممتنعا ولم يبين الله ورسوله
عدم ارادته فهذا الذين من ادعاه فليظهره لينظر فيه فصل
واما قوله قابلة للتاويل فيجب ان يعلم معنى التاويل الذي
ليس فيه نزاع بين احد من عقلاء الادميين لا من المسلمين ولا من

غيرهم وهو ان تاويل كلام المتكلم الذي هو تفسيره وبيان المراد به
سواء كان مصروفا عن ظاهره او لم يكن انما هو بيان مراده ومقصوده
واظهار معناه ومغزاه فاذا قيل تتاول هذه الاية او هذا
الحديث او غير ذلك من كلام سائر المتكلمين فمعناه انا نبين مراده
بهذا الكلام وان كان مخالفا للظاهر لكن لاخلاف انه بيان مراد
المتكلم فاذا علم ان المتكلم لم يرد هذا المعنى وانه يمتنع ان يريد
هذا المعنى اوان في صفاته ما علمنا معه ان هذا المعنى لا يليق
به ويستحيل عليه في العادة او في غيرها ان يريده لم يصلح ان يكون
ذلك تاويل كلامه وان كان لنا ادلة نعلم بها ان بعض المعاني
الفاسدة التي تظهر لبعد الناس غير مراده حتى يقول ما ظهر
لهذا المخطي غير مراد فلان يكون لنا ادلة نعلم بها ان ما تاوله عليه
المتاول المخطي غير مراد اولى واحرى فليس للرجل كل ما ساغ في
اللغة لبعض الشعراء او الاعراب او العامة ان يحمل عليه كلام الله
وكلام رسوله الا اذا كان ذلك غير مخالف لما علم من نعت الله
ورسوله وكانت ارادة ذلك المعنى بذلك اللفظ مما يصلح ان
ينسب الى الله ورسوله فهذا اصل عظيم تحد معرفته
ومن اعتنى به علم ان اكثر وكثيرا مما يدعيه المحرفون في التاويلات
هو مما يعلم بان الرسول لا يصلح ان يريده بذلك الكلام وان كان
ذلك مما يسوغ في اللغة لبعض العوام وفيما يدعي من التاويل
مواضع كثيرة لا تسوغ في اللغة فلا بد ان يكون المعنى الذي يصرف
اليه المتاول الخطاب مما يسوغ في اللغة ويسوغ اضافته الى الشارع
صاحب الخطاب عند اهل العلم واولي الالباب ولهذا كان
المصنفون في ابطال التاويلات اذا كشفوها تبين بطلانها بادني
نظر وقد فصلنا بطلان التاويل الذي ذكره مثل علو العظمة وذكرنا
ايضا الاستيلاء ومن نظر في التاويلات المخالفة للدلالة الظاهرة
راى من التلاعب ما يضحك الجماد ويبكي خشية وهيبة فانظر تاويلات
القرامطة والفلاسفة والمعتزلة والرافضة ومن اتبعهم ومن

اتبع بعض هؤلاء المتكلمين من متكلمة الجماعة واهل الحديث ومتصوفتهم
يروي ملحا اجاجا اقبح من الاحاديث الموضوعة والمغازي المصنوعة
مثل ما يحكيه السؤال في سيرة عنتره والبطال من انواع الكذب و
المحال وما يد خلونه في مغازي علي رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وغيره من انواع الاحاديث التي هي عند من يعلم صفة الحال
من الاعاجيب فهو لا في الرواية وكذلك المتأولون اذا رأيت ما يصرفون
اليه الكلام من المعاني وما يقدرونه لذلك من المباني وما يحملون عليه
احسن الكلام التشابه المثاني تجد من انواع الهذر التي هي فوق
مطلق الكذب والافتراء ما يليق ان يقرن بحكايات السؤال ولو ذكره
المساجر لم يضحك منه لاخذوا به الاموال هو عند المومن بالله ورسوله
ما يعد صاحبه من اهل الافتراء على الله ورسوله وقد يكون العيب
لهم والجاهم من نوع الجهاد في سبيله كما امر النبي صلى الله عليه
وسلم حسان بن ثابت ان يهجو المشركين وقال هو انكى فيهم من وخز النبل
وقال اهجهم وهاجهم وجبريل معك وقال اللهم ايده بروح القدس وقال
ان روح القدس معك ما دمت تناضح عن رسول الله وفي ذلك حيث
يقول فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
واكثر هذه التاويلات المخالفة لمذهب السلف واهل الحديث تتضمن
من عيب كلام الله ورسوله والطعن فيه ما هو من جنس الذين يلمزون
النبي من المنافقين لما فيها من دعوى ان ظاهر كلامه اكل ومحال وكفر
وضلال ثم صرفها الى معان يعلم ان ارادتها تلك الالفاظ من اسفه
السفهاء وابين سبيل اهل الضلال والغي فالمرافقة عن رسوله من سبيل
المومنين والمجاهدين كما قال جاهدوا المشركين بالسنتكم وايديكم
واموالكم ومن ذلك بيان سخافة عقول هؤلاء المحرفين وكونهم
من اهل الضلال المبين كالذين ذمهم الله من الذين يحرفون
الكلم عن مواضعه والذين لا يفقهون ولا يتدبرون القول
وشبههم بالانعام والحمر المستنفرة والحمار الذي يحمل اسفارا
ولهذا كان المسلمون يضحكون ويطعنون على اصحاب مسيلمة الكذاب

بما

بما قبلوه من قرانه المفتري من دون الله وان كان قد زعم انه
شريك لرسول الله في الرسالة وما من احد خرج عن الكتاب
والسنة الا وقد جعل مع الرسول كبيرا له يشركه معه في التصديق
والطاعة لا سيما الغالية من الجهمية والاتحادية والباطنية ونحوهم
عند كلام سادتهم وكبرائهم مضاهيا لكلام الله ورسوله وكثيرا ما
يقدمونه عليه ذوقا ووجدا وحالا واعتقادا ومقالا ومنهم من
يفضله على كلام الله حتى يقول كلام الله يوصل الى الجنة وكلامنا
يوصل الى الله تعالى والقرآن للعوام وكلامنا للخواص ويقول
احدهم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي
هؤلاء علماء وانت خشداشي وهذا بعينه قول مسيلمة الكذاب
اذ ادعى انه اوحي اليه وانه نظير محمد صلى الله عليه وسلم من هؤلاء
واما المقتصد منهم فلا يعتقدون ذلك لكنه لازم لهم في مواضع
كثيرة فليتدبر المومن هذا الموضع فانه عظيم الفايدة وذلك
ان الذين كانوا مقرين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم
نوع ايمان به كان فيهم من يجعل له شركا في الطاعة مثل ما كانوا
يطيعون عبد الله بن ابي رئيس المنافقين ونظيرهم وكان اهل
المدينة قد هموا عزموا على عقد الملك له قبل مجيء رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليها فلما رد الله ذلك بالحق الذي بعث
به رسوله شرق بذلك ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم
معسكرا الى احد رجع ابن ابي ومعه ثلث الناس وكان
يقوم في المسجد ويحض على طاعة النبي صلى الله عليه وسلم
واخباره معروفة وكان من المسلمين من يطيعه في كثير من الامور
ويقبل منه وان لم يكن منافقا محضا كما قال تعالى وفيكم سماعون
لهم ولهذا غضب له سعد بن عبادة في نوبة الافك وكان
ايضا في المومنين به مثل ذي الخويصرة التميمي رأس الخوارج
والمبتدعين المفارقين للسنة والجماعة ثم انه في اخر عمره
ادعى مسيلمة الكذاب انه اشرك معه في الامر وان كلا هما رسول

الله صلى الله عليه وسلم وكان يقيم الصلوات ويقرأ عنده قرآنه
والقرآن الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته
في الردة معروفة فمسيلمة وامثاله نظير لكل من ادعى ان له
في الدين حكما مع الرسالة اما في اصول الدين واما في فروعه
بحيث يطاع كما يطاع الرسول سواء كان ذلك دعوى قياس ونظر او
ذوق او بصر او غير ذلك وان كان الواحد من هؤلاء لا يشبه مسيلمة
من وجه دون وجه ففيهم من هو اكذب منه وفيهم من هو خير
منه ومن قرن بالرسالة واثاما هو طريقة عقلية او ذوقية يناظرها
بها فهو شبيه بالذين قرنوا ما جاء به مسيلمة الوحي مؤلفة بما جاء
به محمد فان كلا هما في الحقيقة كذب وان اشتبه بالحق على خلق
كثير فقد اتبع مسيلمة الوحي مؤلفة وما جاء به المسلمين احد
من اعظم اصحابه وكان قتاله من اعظم فضايل الصديق الذي
صدق الرسالة للكذاب الذي قرنها بما يقوله ومن قرن بالرسالة
رياسة دينوية بحيث يجعل طاعته كما يفعل اتباع الملوك
والرؤساء والاعتيا فقيهم شوب من المطيعين لابن ابي فانه
كان له بمنزلة الملوك الرؤساء المطاعين واتباعهم ومن اعترض
على السنة والجماعة بنوع تاويل قياس او ذوق او تاويل منه
خالف به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه شوب
من الخوارج اتباع ذي الخويصرة وانما الحق ان يكون الدين كله لله
هي العليا والمبلغ لكلمة الله الآمر بطاعة الله هم رسل الله الذين
ختمهم محمد صلى الله عليه وسلم ختم الله به النبوة والرسالة فليس
بعده نبي ولا رسول ومن اطيع من الامراء والملوك والمشايخ فلانهم
يأمرون بما امر الله به ورسوله طاعة متابعة واتباع لا طاعة
مشاركة وابتداع فهذا هذا والله اعلم فصل
واما الوجه الثالث فقوله قد تاول السلف كثيرا منها ومن الآيات
واذن لنا في التاويل ابن عباس وهو حبر هذه الامة وترجمان القرآن
في غير ما آية في هذا الباب قال اذا خفي عليكم شيء من القرآن

فابتغوه

فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب وقال في قوله يوم يكشف عن
ساق اما سمعت قول العرب قامت الحرب على ساق فالجواب
من وجوه احدها ان كان المراد بالسلف الصحابة فهذا النقل عنهم باطل
لم يتاول احد قط من الصحابة شيا من آيات القرآن التي ظاهرها انها
صفة لله تعالى ولقد بحثت عن هذا الباب وكشفته وطالعت التفاسير
المنقولة عن الصحابة نقلا صحيحا فلم اجد عن احد من الصحابة انه تاول
آية واحدة من الآيات التي ظاهرها صفة على نفي الصفة بل وجدت
عنهم من الآثار التي تقرر النصوص وتثبت الصفات وتصرح بمناقضة
قول المتاولين والمعطلين ما لا يتسع هذا الموضع لكتابته ولا يحضر
في تفاصيل ذلك وليست الكتب عندي وكتابة مثل هذا من الحفظ
متعذر فهذا السؤال الذي اورده قد انقلب عليه وهو من
اعظم الحجج القطعية على صحة مذهب المثبتة للصفات المباينين
عياضادها من التاويلات اذ جميع الصحابة قد ثبت عنهم
بانواع الاسانيد من المنقولات اثبات صفة العلو وغيرها من
الصفات بالنصوص الصريحة التي لا تحتمل خلاف ذلك ولم ينقل
عن احد منهم تاويل يخالف ذلك بما يخالف الظاهر فالمتاول بما يخالف
الظاهر مع انه مبتدع لهذه التاويلات فهي بدعة مخالفة لاجماع
السلف لا بدعة مسكوتا عنها ومع انهم لم يتاولوا ما ظاهره الصفة
فلم اعلم عن الصحابة نزاعا فيما يقال انه من الصفات الا في قوله
يوم يكشف عن ساق فان هذه متنازع فيها من الصحابة فعن
ابن عباس وطايفة ما ذكره المعترض ان المراد به الكشف عن شدة
وقد تعهدي بالاسناد عن ابن عباس هل هو متصل او منقطع
وعن ابي سعيد الخدري وغيره جعله من الصفات وفي الصحيحين
حديث ابي سعيد وغيره وسبب النزاع انه ليس في ظاهر
الآية ما يدل على انها من الصفات لانه قال يوم يكشف عن ساق
ولم يضف ذلك الى الله بل نكره ومعلوم ان هذا لا يدل بنفسه
على انه صفة لله بخلاف ما اضيف اليه ولهذا تنازع فيه

كطاعتها

www.alukah.net

الصحابة فمن اثبته احتج بحديث ابي سعيد المتفق عليه في الصحيحين
وقال ايضا فرق بين ان يقال كشف الشيء او ان يقال كشفت عنه فان
الشدة يقال فيها كشفها الله اي ازالها كما قال تعالى وقالوا يا ايها الساحر
ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز الى قوله فلما كشفنا عنهم
الرجز الى اجل هم بالغوه وقال تعالى في حق ايوب فاستجبنا له وكشفنا
ما به من ضر وقال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا
او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه وقال تعالى
قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم
صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه وتنسون ما تشركون
وقال تعالى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون
قالوا فالشدة يقال فيها كشفها ولا يقال كشفت عنه واما الكشف
عن الشيء فهو اظهاره وابرازه كما يكشف العذاب عن الناس فالعذاب
نفسه مكشوف واما الناس فهم مكشوف عنهم لظهورهم وبروزهم
بعده وال العذاب عنهم وان كان المراد بقوله السلف التابعين
فلا اعلم احدا من التابعين تاول شيا من النصوص التي ظاهرها
الصفة بل القول فيهم كالقول في الصحابة الا ان دعوى الاحاطة
بكلامهم اصعب وعامة الائمة والمفسرين على اثبات الصفات كما
تقدم عن الصحابة والمنقول بذلك عنهم كثيرة لا تنحصر وبينهم نزاع في
الساق كما تقدم وقد نقل عن مجاهد في قوله تعالى فاينما تولوا
فثم وجه الله اي فثم قبلة الله ومن قال ذلك منع ان يكون لفظ
الوجه هنا ظاهرا في الصفة بل الوجه كالوجهة كما قال تعالى ولكل وجهة
هو موليها ومن اثبت الصفة مع ذلك سلك طريقة اخرى والمقصود
هنا بيان انا لا نسلم ان ظاهر الخطاب اذا كان صفة لله تاولها السلف
وان كان المراد بالسلف من كان في زمن الائمة من اهل البدع مثل
الجهم والجعد ومن بعدهم كمثل ابي الهذيل العلاف وطبقته وبشر
المريسي ونحوه فهؤلاء الذين ابتدعوا هذه التاويلات والكلام فيها
معهم ومع اتباعهم الوجه الثاني ان لو ثبت

عن بعض الصحابة او التابعين تاويل فهو مثل تنازعهم في تفسير
بعض الايات وبعض الاحكام فمن المعلوم ان الاية التي ذكرنا تاويلها عن
ابن عباس قد نازعه فيها غيره وقد قال تعالى فان تنازعتم في
شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الاخر ذلك خير واحسن تاويلا وليس قول بعض الصحابة حجة على
بعض الوجه الثالث ان المنقول عن الصحابة والتابعين
من اثبات الصفات وتقرير النصوص الدالة عليها لا يحصيه الا الله
فكيف يترك المنقول بالتواتر ويدعى ما لا حقيقة له او يحتج بموارد النزاع
الوجه الرابع ان نقله عن ابن عباس انه تاول غير ما اية
لا اصل له بل المحفوظ عن ابن عباس في تقرير النصوص الدالة على
الصفات واثبات الصفات اكثر من المحفوظ عن غيرهم من الصحابة ولست
تجد في هذا الباب شيا اكثر من المنقول عن ابن مسعود وابن عباس
واصحابهما وهم اعلم الناس بالتفسير وتاويل القران الوجه الخامس
ان نقله عن السلف انهم تاولوا الاحاديث فهذا اغرب هل يقدر احد
قط ان ينقل عن احد من الصحابة والتابعين انه تاول شيا من
احاديث الصفات بل هم الذين كانوا يروونها ويحدثون بها من
غير تعريض لمعناها ولا ذكر لتاويل فيها وعنهم اخذها تابعوا التابعين
ولما صار الناس في زمن تابعي التابعين يسالون عنها علما ذلك الزمن
من صغار التابعين ولما صار الناس مثل الزهري ومكحول وتابعيهم
مثل الاوزاعي ومالك وغيرهما امروها كما جاءت ولم ينقلوا عن احد من
التابعين تاويلها اصلا بل المنقول عنهم كما قال الاوزاعي كنا والتابعون
متوافرون نقول ان الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة
من صفاته فهذا نقله لما كان زمن التابعين وهو الايمان بالصفات
ولم يرد بذلك الايمان بحروفها فان هذا لم يتغير وقد سماها صفات
ولو كانت متاولة لم تكن صفات ولهذا لا يسميها محققوا اهل التاويل
احاديث صفات بل يقولون احاديث الاضافات كما يقول ابن عقيل
وطايفة معه او يقولون مشكل الحديث او متشابهه واما قول

الألوكة
www.alukah.net

الاوزاعي كانوا من عاوده دت به السنة من صفات الوجه السابع
ان نقله عن ابن عباس انا اخفى عليكم شئ من القرآن فا بتفوه في الشعر لا يدل
على موده النزاع فان هذه الآيات والاحاديث المفهوم معناها الظاهر مدلولها
لم يخف علينا حتى نطلبه من الشعر وانما قال ذلك في الالفاظ الغريبة المتداولة
مثل قسوره وضبيزي ونحو ذلك من الالفاظ الغريبة ولهذا روي ان نافع
بن الازرق كان يسأل ابن عباس عن شئ غريب القرآن فيجيبه عنه و
يستدل لمعناه بما يروبه من الشعر فان الاستدلال بالشعر على اللفظ
الذي لا ظاهر له ولا يفهم له معنى من الاستدلال به على صرف النصوص عن
مدلولها ومعناها ينبغي لمن تكلم انا يعقل ما يقول ويتكلم فمثل هذه
الاستدلالات وقع التحريق في الكتاب والسنة فلا حول ولا قوة الا بالله
الوجه الثامن ان هذه المسئلة فيها نزاع وهو التمثل للقرآن
ببيت من الشعر وتفسيره بحر د اللغة وفيه روايتان عن احد احدهما جواز
ذلك لما تقدم والثانية المنع من ذلك لما تقدم من ان الصحابة والتابعين
نقلوا معاني القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا حاجة الى احد
معانيه من احد ومن قال هذا طالب بصحة النقل عن ابن عباس او حمل
هذا على الصورة التي يتعذر فيها النقل عن الصحابة وهذا قريب
ولهذا قال اذا خفي عليكم وانما يخفى عليهم اذا لم يكن منقولا عن
الصحابة والتابعين الوجه التاسع ان يقول لهم ان كان قول
الصحابي في التفسير حجة ففي الصحابة من التفسير المثبت للصفات المبطل
لتاويلات الجهمية ما لا يعلم الا الله وان لم يكن مقبولا فلا حجة لكم
في قولكم عن ابن عباس هذا فعلى التقديرين حجتكم باطلة والتفسير المنقول
عنهم في اثبات الصفات منصوص في مواده النزاع فصل
واما الوجه الرابع وهو قوله عارضها الادلة العقلية القطعية فجوابه
من وجوه احدها ان المثبتة لا تسلم ان موجب النصوص عارضها دليل
قطعي قط وكل ما يقال انه قطعي يبين انه ليس بدليل اصلا فضلا عن
ان يقال انه قطعي وكان الواجب عليه بيان هذا الدليل القطعي
بل المثبتة تقول الادلة العقلية القطعية تبطل مذاهب المعطلة

النفاة فهم يمنعون صحة الادلة العقلية التي احتج بها النفاة ويعارضون
بادلتهم العقلية التي هي اثبت واقوى بل يثبتون فساد حجة النفاة
بالعقل الصريح وصحة قولهم بالعقل الصريح الوجه الثاني
ان يقال من المعلوم ان الدليل القطعي مبني على مقدمتين احداهما
ان موجب الصفات مستلزم للتجسيم والتشبيه والتجسيم والتشبيه
منتف فيجب نفي موجبها ويتعين تاويلها واذا كان هذا الجيب عنه
بالاستفسار المتضمن لمنع احدى المقدمتين وهو ان يقال ان كان
التجسيم الذي تعنيه قد دلت عليه النصوص فلا نسلم انتفاءه
وان لم تكن دلت عليه منع المقدمة الاولى وحقيقة الجواب ان ما هو
مدلولها لم ينفه العقل الذي نفاه العقل ليس مدلولها وانما وقعت
الشبهة في الاشتراك والاجمال الواقع في لفظ التجسيم والتشبيه ما لا
ينفيه العقل بما لا ينفيه وذلك ان في لفظ التجسيم تنازعا كثيرا بين
الناس قد بسطنا القول فيه في قاعدة التعطيل والتجسيم وربما
نذكرها ان شاء الله تعالى ولكن نذكر هنا التنبيه على النكتة فان المثبت
لمدلول النصوص والصفات الله تعالى يقول للنافي قولك ظاهرها التجسيم
الذي يريد به ان الله جسم من جنس الاجسام المخلوقة بحيث يكون من جنس
البشر كما ودما وعصبا وعظما كما يذكر هذا عن بعض المشبهة او من
غير جنس البشر من السموات او الارض او الملائكة او الجن او غير ذلك
من المخلوقات ان اردت به ان هذا ظاهرها وهذا منتف اصبت في قولك
هذا منتف وهو المقدمة الثانية وقولك التجسيم منتف والله منزه عن
التجسيم واخطات في قولك ان هذا ظاهرها اما الاول فقد دري من
وجوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قوما من المشركين من اهل
الكتاب سالوه عن ربه ومعبوده الذي يدعوا اليه ما هو من ذهب او فضة
او كذا او كذا او سمعوا ما سمعوا من اجناس الاجسام فانزل الله تعالى
قل هو الله احد والله الصمد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم
يجادلون في الله وهو شديد المحال واصابته صاعقة فاذهبت
بقحف راسه فاهلك الله تعالى من سال عن مجانسة المخلوقات وهو
يخبره ان الله

قف على هذا الفصل وتامله الى آخره فترى العجب من كلام شيخ الاسلام رضي الله عنه من حسن التوحيد لله تعالى

شبكة الألوكة www.alukah.net

من جنس سوال فرعون وما رب العالمين فانه لا يمكن ان يذكر ان الله
تعالى وشيأ من المخلوقات يشتركان في الحقيقة الجنسية كاشتراك الانسان
وسائر الحيوان في الحيوانية او كاشتراك الحيوان والنبات في النمو والاغتذاء لا كاشتراك
الاجسام النامية والجامدة فيما يتجانس فيه ومن سال عن ذلك فهو لكن سال عن
نسبة وقال من ابوه ومن اينه ولهذا انزل الله تعالى سورة الاخلاص التي ليس
نسبة وصفة فقال قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا احد فنزهه وقدسه عن الاصول والفروع والنظراء والامثال وليس في
المخلوقات شيء الا ولا بد ان ينسب الى بعض هذه من الاعيان والمعاني فالحيوان
من الادمي وغيره لا بد ان يكون له اما والد او ما مولود ولما نظير كفوه وكذلك
الجن والملئكة ولهذا قال سبحانه ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم
تذكرون قال بعض السلف لعلكم تذكرون فتعلمون ان خالق الازواج
واحد وقال تعالى والشفع والوتر وقال مجاهد كل شيء خلقه فهو شفع
السماء شفع والارض شفع والوتر الله تعالى وهذا هو الذي
ذكره البخاري في صحيحه فانهم يعتمدون على تفسير مجاهد لانه اصح
التفاسير قال الثوري اذا جاء التفسير عن مجاهد فحسبك به وهذا
القول اختياره مجد الدين ابي البركات رحمه الله في هذه الاية ولهذا قال
سبحانه وسبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والتسمية التسوية التعديل
والتعديل لا يكون الا بين شيئين متناظرين متشابهين فالمخلوقات لا بد فيها
من التشابه والتماثل المقتضي التسوية والتعديل والله تعالى لا عدل له
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ولا يستوي هو وغيره ولكن كما قال الله فكبكبوا
فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله
ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ولا سمي له كما قال تعالى
فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ولا نزله كما قال تعالى فلا تجعلوا
لله اندادا وانتم تعلمون ولا شريك له لا في ربوبيته بل هو خالق كل شيء
وربه ولا في الوهيته بل لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير ولا كفوله كما قال ولم يكن له كفوا احد ولا مثل له كما قال
ليس كمثله وما يجب ان يعلم ويضم الى ما ذكرناه قبل ان ننفي المثل عنه

والمسمي

والسمي والمساوي يقتضي نفي ذلك في كل شيء فلا يماثله شيء من المخلوقات في
شيء من الاشياء قط لا في شيء من معاني اسمائه وصفاته ولا في شيء من
افعاله ومخلوقاته ولهذا قال تعالى وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم
اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون
فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها
يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
فاخبر سبحانه انه يكبكب في جهنم المعبودون من دون الله هم
والغاوون وجنود ابليس اجمعون وانهم يقولون لما دعوه من
دون الله لقد كنا في ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم
انهم لم يجعلوهم مساوين له في كل شيء فان احدا من الخلق لم يقل
ان العالم صدر عن خالقين متكافيين في الصفات والافعال وانما
تسويتهم اياهم بالله انهم عبدوهم كما عبدوه كما قال تعالى ومن
الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله فجعلوهم
مثله في العبادة وهذه تسوية وفي الصحيحين عن عبد الله
ابن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل
لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك فعلم
ان الله تعالى لا يجوز ان يساويه غيره في شيء من الاشياء ولهذا
قال تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي يجعلون له عدلا والعدل
المثل وقد قدمنا ان المعادلة في كل شيء لم يفعلها احد فعلم ان
من جعل له عدلا في شيء من الاشياء فقد عدل به وكذلك قوله
فلا تجعلوا لله اندادا ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
والند المناد المضاد ومن المعلوم ان احدا لم يجعل لله مضادا في
كل شيء ولكن في بعض الاشياء دون بعض فعلم ان الله لا يكون
له ند في شيء من الاشياء ولهذا لما سمع النبي صلى الله
عليه وسلم رجلا يقول ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله
ندا قل ما شاء الله وحده وفي السنن ان رجلا راى يهوديا يعير
المسلمين يقول نعم القوم انتم لولا انكم تندون تقولون ما شاء الله

وشاهد فيها هم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال قولوا ما شاء
الله ثم شاء محمد فمن جعل لشيء من صفاته من علمه او قدرته او حياته
او سمعه او بصره او ضاه او غضبه او رحمته او خلقه بيديه او اتيانه
او مجيئه او استوائه او نزوله او غير ذلك عدلا او مثلا مما يوجد في
المخلوقين فقد سواه برب العالمين في ذلك وجعل له عدلا في ذلك
كما ان المشركين انما جعلوا له عدلا وندا ومساويا في بعض الامور
ولهذا قال الامام احمد في رواية حنبل المشبه الذي يقول بصري
ويدي وقدم كقدمي ومن قال ذلك فقد شبه الله بخلقه ومن قال
هذا فهو ممثل به عادل به مسوي به ولو جعل احدهما اكبر من الاخر
فلو جعل صفاته مثل صفات خلقه في الجنس وجعلها اعظم في القدر مثل
ان يجعل بصره من جنس بصر العبد لكنه اعظم منه كما يحكى عمن قال من
المشبهة انه على صورة الانسان لحم ودم لكنه عظيم القدر كبير الجثة فهو لا
قد سوى برب العالمين في حقيقته وعدلوا به كما قدمنا ان المنفي بالنصوص
والذي ذم الله به القائلين هو التسوية والعدل به ولو في بعض
الامور وذكر انا ان الذين سألوا عن جنسه من المخلوقات بين الله
لهم انه لا كفو له فبين انتفاء المكافاة في شيء من الاشياء لان الاشتراك
في الجنس والحقيقة تكافي في ذلك وهو تفي الكفو مطلقا فاما القليل من
جنس الما الكثير لقوله في ذلك وكذلك سائر الاجسام المجانسة المماثلة
في الحقيقة وان تفاوتت في المقدار وانتفاء هذا كما دلت عليه نصوص
الكتاب والسنة اخبار بذلك فقد بين الله تعالى ان انتفاء ذلك
معلوم بالعقل ايضا في مثل قوله هل تعلم له سميا وغير ذلك فانا
نعلم بعقلنا انه لا سمي له ولا عدل ولا كفو ولا ند في شيء من الاشياء
وذلك ان المتماثلين في الحقيقة وان تفاوتا في المقدار كالماءين والترابين
والعظمين واللحمين عن ذلك من الاجسام لا بد ان يجوز على احدهما
ما يجوز على الاخر ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه وهذا
حد المثلين عند اهل النظر وهو ان يجوز على احدهما ما يجوز على
الاخر ويمتنع عليه ما يمتنع على الاخر ويجب له ما يجب له وقد يعبرون

عنه

عنه بعبارة اخرى هو ما سد احدهما مسد الاخر وقام مقامه والعبارتان
تؤديان الى حقيقة واحدة فان الماء يسد مسد الماء في الحقيقة وكذلك
التراب وكذلك اللحم واللحم ونحو ذلك ويشتركان في الواجب والجايز والممتنع
في الحقيقة فلو كان في المخلوقات ما هو عدل او مثل للباري في الحقيقة
والصفات وان كان اصغر منه في القدر لجاز على الباري ما يجوز عليه
من العدم والفقر الى الصانع والحدوث وانه بنفسه ممكن مفتقر الى
من يوجده ويوجب له ما يجب للباري من القدم والقيام بنفسه
والاستغناء عن خالق والصمدية ولجاز عليه ما يجوز على من خلق الخلق
وابدع العالم وامتنع على العبد من العدم والموت والحاجة ما يمتنع
عليه فيلزم ان يوصف كل منهما بالصفات التي لحقيقة الاخر وهذا
مع انه محال في حق الرب ان يكون موصوفا بالصفات التي لحقيقة العبد
ومحال في حق العبد ان يكون موصوفا بصفات حقيقة الرب فانه
متناقض اذا فرض مماثلهما وتساويهما في الصفات مع كون احدهما خالقا
الاخر فيجب ان يكون كل منهما خالقا مخلوقا فيجب ان يكون الخالق قد
خلق نفسه اذ كان مثله وخلقه لنفسه محال فكيف بخالق نفسه
ويجب ان يكون الخالق مخلوقا للمخلوق وهو ممتنع عليه ان يكون مخلوقا
لنفسه فكيف لمخلوقه وهذا هو السؤال الذي يقال ان بعض ملوك
الهند اورده على بعض متكلمة المسلمين في امامة هرون فقال هل
يستطيع ربك ان يخلق مثل نفسه ان قلت نعم فقد جعلت له مثلا
وان قلت لا فقد عجزته فقال له هذه المسئلة ممتنعة مستحيلة في
نفسها واذا كانت في نفسها ممتنعة لم يكن جوابها الا كذا لك كما انك اذا قلت
خلق مثل نفسه فقد فرضت مثلين احدهما خالق الاخر ولو كان مثله
لم يكن مخلوقا له ولا كان الاخر خالقا له فان التماثل يمنع هذا الاختلاف
ويوجب التساوي في القدم والحدوث فبهت الذي كفر وهذا جواب
سديد فان السايل اذا فرض اجتماع ما يمنع اجتماعهما فقال ماذا يكون
على هذا التقدير قيل له لا يكون على هذا التقدير الممتنع المحال الا ما
هو ممتنع محال واجتماع متماثلين احدهما خالق الاخر محال في نفسه

www.alukah.net

لعله
صانع

كما يقال لو فرض ان مانع العالم موجود معدوم اكان يصنعه ام لا ولو
فرض انه خلق العالم ولم يرد ان يخلقه او خلقه ولم يكن قادرا على
خلقه او خلقه ولم يعلم كيف يخلقه او لو فرض ان الذي خلق العالم
كان عدما او موانا او غير ذلك من التقديرات الممتنعة في نفسها ومثل
هذه الاغلوطات من المسايل يسلكها اهل الكذب في الجدل في امر الدنيا
والدين في الاصول والفروع من جنس الاغلوطات الذي ابتدعه
العميدي السمرقندي في مثل نكته التي يسميها البرهان ويدعي
انها قطعيه وغير ذلك يفرض امور ممتنعة ويستنتج نتايجها على
ذلك التقدير الذي يمتنع وجوده فان هذه المقدرات التي لم توجد
منها ما هو ممتنع في نفسه فيكون لازمه ممتنعا ومنها ما قد علمنا انه
لا يكون وان كان في نفسه غير ممتنع فيكون لازمه مما لا يكون ويسمي
هذا ممتنعا لغيره لمشية الله ولعلمه واخباره بان ذلك لا يكون
مثل قولهم لو لم يقتل المقتول هل كان يعيش فهذا التقدير معلوم
العدم ممتنع لغيره فان الله شاء ذلك وعلمه وكتبه فلم يكن يمكن
لمشية الله وعلمه ان يقع الا ذلك فاذا قدر عدم المشية لقتله
وعدم تعلق العلم كان هذا تقدير عدم الوجود فيلزم عدم الموجود
وهو قتله فاذا لم يقتل امكن ان يعيش وان يموت بسبب آخر فلو لم يقتل
لزم احد الامرين لكن قتله لابد من وجوده وقد يقدر الممتنع لذاته
كما يقال لو لم يكن خالق العالم يكن لم يكن مخلوقا مثل قول النبي صلى الله
عليه وسلم والصحابة حيث يقولون وهم يحفرون

لاهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا وربما قالوا

والله لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

وكذلك قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولولا
كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم ونظايره
متعددة فقد يقدر عدم الموجود ليعلم كيف الامر مع عدمه
ويقدر وجود المعدوم ليعلم كيف الامر مع وجوده كقوله لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا ومن الاول قوله ام خلقوا من غير شي ام هم

الخالقون

الخالقون يقول تعالى اينتصور ان يكونوا مخلوقين من غير خالق خلقهم
ام هم الخالقون اينتصور ان يكون الشي خلق نفسه فاذا قدر عدم الخالق
لزم ان يكونوا خلقوا من غير خالق او يكونوا هم خلقوا انفسهم وكل ذلك ممتنع
فتعين ان يكون لهم خالق خلقهم ولهذا قال جبير بن مطعم لما
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا هذه الاية في الصلاة احست
بفوادي قد انصدع وكان جبير قد قدم في فداء الاسرى عام بدر وكان
ذلك اول ما دخل الاسلام في قلبه فهذه التقديرات التي تكون
في العلم والكلام هي طرق وادلة وبراهين قد تبين بها حقيقة
الامور حتى في الامور العملية دون الخبرية فان الانسان قد يكون
في حال موجودة محمودة لا يعرف ما يكون اذا عدمت من الضرر فيتركها
فيحصل له من الضرر ما لم يكن يظنه وربما يطلب وجودا مر لا يقدر
اذا وجد ما يكون معه من الضرر فاذا وجد كان من الضرر ما لا يعلمه
وصاحب النظر والقياس والتدبير يقدر وجود ذلك المعدوم
وعدم هذا الموجود ليتبين له بذلك الحال كيف يكون فيعلم ما ياتي
وما يذر فهذه التقديرات اذا كانت لطلب معرفة الحق
الذي ينبغي معرفته والعمل الذي ينبغي فعله كانت حسنة وان
كانت لرد الحق الذي يجب قبوله والعمل الذي نهي عنه كانت من
السيات المذمومة مثل تقدير فيلسوف قريش ورئيسها
الوليد بن المغيره لما سمع القران واراد ان يجمع قومه المشركين على
قول يلقونه الى الناس يصدونهم عن اتباع الرسول فعرضوا على
الا تهم هذا يقول ساحر وهذا يقول كاهن وهذا يقول
مجنون وهو يرد ذلك ويبين ان مثل هذا القول لا يتفق على الناس
ولا يقبلونه لظهور بطلانه ثم فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف
قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر
يوثر ان هذا الا قول البشر ووجه قوله انه سحر اي انه يسحر
قلوب المتبعين له حتى يفرق بين المرء ووالده والمرء واخيه
فجعل هذا القدر المشترك الذي يفعل الساحر مثله هو وجه

والمرء ولده ٥

الألوكة
www.alukah.net

كونه سحرا واما وجه كونه قول البشر فهو يشبه من بعض الوجوه ما يقول
البشر فهو نظير قول الفلاسفة الذين قالوا انه فيض يفيض عليهم من
العقل الفعال كما يفيض سائر كلام المتكلمين على قلوبهم وشاركهم في بعض
قولهم من يقول القرآن مخلوق او يقول ان حروف مخلوقة فهذا التفكير
والتقدير الذي يطلب بمعارضة القدر الذي انزل الله به كتبه وارسل
به رسله كما يفعله فضلاء المتفلسفة والمتكلمة من جميع الطوايف في دفع
ما جاء به الكتاب والسنة هو التفكير والتقدير الذي ذمه الله تعالى وقال في
مثله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وقال وهم يجادلون في الله وهو
شديد المحال والذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في
صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه الى امثال ذلك واما التفكير والتقدير
والقياس والتنظير الذي يحبه الله ورسوله فهو الامثال المضروبة
التي ضرب بها الله في كتابه فقال ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل
مثل فان ضرب المثل هو تقديره وجمعه فان لفظ الضرب يشعر بذلك
ومنه ضرب الدرهم والضرب في الارض والضربة الطبيعة وكذلك
الضرب بالعصا كل ذلك مما اصل واحد في اللفظ والمقصود هنا
انه قد علم من المعدوم الممتنع في نفس الامر ان يكون له مثل لكن اذا قدر
ذلك في النفس تبين بتقديره ما يلزمه من الامور الممتنعة التي يعلم بها
انه ممتنع وقد تبين انه اذا قدر مثلا ان احدهما خالق والاخر مخلوق كان
هذا ممتنعا متناقضا من وجوه كثيرة لا تحصر فان المثل الذي يجوز عليه
ويجب له ويمتنع عليه ما يجب ويجوز ويمتنع على الاخر فتقدير يجوز
ان يكون هذا خالقا لخالق نفسه ويكون هذا مخلوق المخلوق نفسه
فيكون مخلوقا لنفسه والشيء لا يكون خالقا لنفسه ولا يكون مخلوقا لنفسه
ويكون هذا مستغنيا بنفسه واجبا بنفسه فلا يكون مخلوقا ويكون
ايضا مفتقرا الى صانعه ممكنا بنفسه فيكون مخلوقا فيكون كل منهما خالقا
مخلوقا وهذا محال كما تقدم ويكون هذا قديما فلا يحتاج الى
محدث ويكون هذا محدثا فيحتاج في وجوده الى قديم فيكون كل منهما قديما
بنفسه لا محتاج ومحدثا محتاجا وهذا محال ويكون هذا واجبا

بنفسه

القرآن ٥

بنفسه له العلم بكل شيء والقدرة على كل شيء وهذا جايز على الجهل
بكل شيء والعجز عن كل شيء فيكون كل منهما واجبا له بنفسه وجايزا عليه
العلم بكل شيء والقدرة على كل شيء وهذا ممتنع ويكون هذا
واجبا له ان يكون سميعا لكل مسموع وبصيرا بكل مرئي وهذا جايز
عليه الا يسمع ويبصر شيئا فيجتمع هذان الوصفان وهو محال ويكون
هذا يمتنع عليه الافات المذكورة فيكون كل منهما يجوز عليه الافات
ويمتنع وهو ممتنع فيكون هذا معدوما بنفسه لا بوجود الايجابه
واجب الوجود بنفسه لا يقبل ذاته العدم وهذا محال فقد تبين
انه يلزم اجتماع النقيضين من وجوه كثيرة على تقدير اثبات المثل وهذا
باب واسع تبين فيه بهذه التقديرات المحالات اللازمة من فرض
تماثل الخالق والمخلوق ليعلم ان هذا ممتنع في نفسه متناقض في
لا يتصور وان كان يلزم من التمثيل ايضا ما هو ممتنع من وصف الخالق سبحانه
وتعالى بصفات المخلوق الناقصة ووصف المخلوق بصفات الخالق التي
هي من خصايصه فان ذلك يبين استحالة تماثل الخالق والمخلوق من
غير تعيين وهذا ببيان الاستحالة في الخالق الحق المعين الموجود
وفي المخلوق الموجود المعلوم وكل هذه طرق صحيحة ولهذا قال
سبحانه هل تعلم له سميا وهذا من الامثال المضروبة كما سمى الله بذلك
قول القايلين من يحيي العظام وهي رميم فقال سبحانه وضرب لنا مثلا
ونسي خلقه قال من يحيي العظام فان هذه الجمل الاستفهامية هي
استفهام انكار انكار نفي وسلب ونهي ومنع ففي متضمنة لشيئين احدهما
نفي ان يعلم له سمي وهو انكار لان تعلم له سميا والثاني الانكار على من
يقول ان ذلك يعلم اذا اراد سبحانه النفي المحض لقال ما تعلم له سميا
فهذا يكون فيه نفي علمه لا انكاره ووجوده فلما قال هل تعلم كان انكارا لوجود
ذلك ونفيا لان يكون ولهذا قال هل تعلم ولم يقل هل علمت ليبين
الانكار والنفي لوجود العلم مطلقا فان الفعل المضارع مطلق بنوه لما
هو كاين لم ينقطع هذا الفظ سيبويه كما بنوا الماضي لما مضى وبنوا الامر
لما لم يكن بعد ونظيره ان تقول هل يأتي نبي بعد محمد هل تقوم الساعة

الألوكة
www.alukah.net

الان هل يتخذ الله ولدا هل يعلم احدا ويقول عاقل ان الواحد مثل الاثنين
ونحو ذلك مما تبين فيه امتناع ذلك وانكاره وجوده وتبين ان وجوده
ممتنع وانه مما يجب انكاره وينكر على من ادعاه ثم دل ذلك على نفي متعلقه
ايضا فان الحق لا ينكر العلم به وانما ينكر العلم العلم بما لا حقيقة له كقوله
قل انبئونه بما لا يعلم في الارض فدل على هذا المثل على انه لا يسمى
له وعلى انه لا يعلم احد له سميا وعلى انه لا يمكن ان يكون له سمي وعلى انه
لا يمكن ان يعلم له سمي دل على نفيه ونفي امكانه ونفي العلم به وبامكانه في
هذا اللفظ الوجيز المختصر فالعقل الشريف عقل هذه الامثال كما قال
تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون فالعلمون يعقلون
هذا المثل كما قال تعالى وعقلهم له معرفتهم بما فيه من الحق وبدلالته
على الحق المطلوب حتى يتقنون عالمين بعقلهم الحق المطلوب لا على وجه
التقليد المجرد صدق المخبر لكن كما قال تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل
اليك من ربك هو الحق فاذا اوتوا العلم عقلوا ان الذي انزل اليه من ربه
من الاحكام الخبرية والامرية والادلة الدالة عليها كالامثال المضروبة في القرآن
انه هو الحق فان العاقل انما يعقل ما لم يكن عنده من العلم بما هو عنده و
بالعلم بالمقدمات تعلم نتايجها ولهذا قال تعالى ان الامثال المضروبة
لا يعقلها الا العالمون واخبر ان الذين اوتوا العلم يرون الذي انزل اليك من
ربك هو الحق ويهدي الى طريق العزيز الحميد واذا تبين بالقرآن
وبالعقل الامثال المضروبة فيه امتناع السمي لله وانه يمتنع ان يكون سميا
في شيء من الاشياء حصل المقصود والسمي هل المثل والشبه كما نقل عن ابن
عباس وهو اما ان يكون ما خوذا من السمات وهي المرافقة والمقارنات كما
قالت عايشة عن زينب وهي التي كانت تساميني من ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم فيكون بمعنى الفاعل كالاكيل والعقيد والنظير
واما ان يكون بمعنى المسمي باسمه كما قال في قصة يحيى لم نجعل له من قبل
سميا هل تعلم له سميا فهو سمي له اذا الاسم هو مشتق به الاشتقاق
التام من سما يسمو اذا كان به الاشتقاق الاوسط من وسم يسم كما قال
ذلك من قاله من نحاة الكوفة كما بينا انواع الاشتقاق في غير هذا الموضع

فسموا

فسموا كان السمي من التسمية او المساماة فان مرجعهما الى شيء واحد فان
المسمي باسم الشيء هو مسام له وان لم يقصد ذلك والمساوي للشيء لا بد ان يسمى
باسمه اذا اريد بالاسم في هذه المواضع ليس هو مجرد اللفظ الذي
يكون علما كالاسما الاعلام وانما المراد بالاسما ما يدل على نعوت المسمى وصفاته
فان الاسم يرفع المسمى ويعليه واذا ارتفع وعلا ظهر وتجلى وذلك هو
وصفه واظهاره مافية وهذا هو الذي عابه الله تعالى على من سمى
الاوثان باسما ما انزل الله بها من سلطان ولهذا كانت اسما الله الحسنى
صفات له قوليه وهي دالة على صفاته المعنوية فيكون الله تعالى قد نفى
الامكان ان يكون الله من يسمى باسما او يسامیه وهذا الباب في ما ذكرناه
او لا ما في كتاب الله تعالى ان الله تعالى سمى نفسه باسما وسمى بعض
مخلوقاته بتلك الاسما لا ما قد بينا فيما تقدم ما في الاسما من الدلالة على
المشترك والمميز وعن التخصيص في هذا المكان مقصوده وهو ان اسما الله
مثل العليم والقدير والرحمن والرحيم دالة على نفسه المقدسة بما لها
من نفس علمه وقدرته ورحمته وهذا الاسم الذي دل على هذا المعنى
لا يجوز ان يسمى به سواه اصلا واذا اطلقناه على المخلوق وقلنا في الانسان
سميع بصير فهذا الاسم الذي دل على حقيقة سمع المخلوق وبصره لا يسمى
به الله به قط واما الاسم المطلق الذي لا يضاف فهو دال على القدر
المشترك فالاسم وان كان لفظه قبل الاضافة والتعريف واحدا فهو
بالاضافة والتعريف يصير دالا على اكثر مما كان دالا عليه حين التجرد ولهذا
قال الفقها في باب الايمان ان اسما الله ثلثة اصناف منها ما هو نص كقوله
تعالى الله ورب العالمين وارحم الراحمين ونحو ذلك فهذه يكون يمينا لا تحتمل
غير ذلك ومنها ما هو ظاهر وهو ما يكون باطلاقه لله وقد تسمي به غيره
بالقرينة كقوله العزيز والحليم والروف والرحيم ونحو ذلك ومنها ما هو
مجمل لا ينصرف اطلاقه الى الخالق او المخلوق الا بالقرينة كقوله الموجود ونحوه
فهذا لا يكون يمينا الا اذا نوى به الله وهل يكون يمينا بانية على قولين
بنا على ان اليمين بالله تعالى هل تنعقد بالكناية احدهما
يكون يمينا وهو المشهور من مذهب ابي حنيفة واحمد وغيرهما والثاني

الألوكة
www.alukah.net

لا يكون يمينا وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول القاضي ابي يعلى في بعض
كتبه وهذا ثابت في جميع الاسما التي تتغير دلالتها بالتقييد والاضافة
في اسما المخلوقين فكيف بالاسم الدال على الخالق والمخلوق فلفظ الرسول
واحد ومع هذا فلما قال فعصى فرعون الرسول وقال لنا لا تجعلوا دعا
الرسول بينكم لم يكن صفة الرسالة وقدرها المدلول عليها باسم الرسول
في احد الموضعين هي الصفة والقدر المدلول عليها به في الموضع الاخر ويقال
هذا رسول هذه الامة ويقال في ذاك رسول بني اسرايل فلو سمي
احدهما باسم الاخر مطلقا وان اشتركا في بعض مدلول الاسمين ولهذا
كان من اسما هذا الرسول محمد واحمد والماحي والحاشر والعاقب والمقفي
ونبي الرحمة ونبي الملحمة والضحوك والقتال ونحو ذلك من الاسما التي يختص
هو بمعناها في بعضها ويختص بكل معاني باقيها فليس في الرسل من يسمي
باسمايه مطلقا وان كان يشركه في بعض اطلاق بعض اسمايه عليه لمشاركته
له في بعض معانيها وهذا الذي قدمناه من ان الاسما المتواطية
تدل بمجردها على القدر المطلق المشترك الذي لا يوجد مطلقا مشتركا الا
في الذهن ويدل عند تعيينها بالتعريف على خصوص المعين الموجود
في الخارج الذي لا شركة فيه فمدلولها عند التعيين ليس فيه اشتراك
اصلا كما انه ليس فيها اشتراك ولا اطلاق ولكن الذهن يأخذ القدر المشترك
بين المعنيين كما ينطق اللسان باللفظ المشترك المتواطي الموجود في المحلين
وان كان حال المطلق المشترك المتواطي كالمعنى المطلق المشترك وليس هذا
بشرط الاطلاق الا في الذهن كما ان اللفظ المطلق بشرط الاطلاق لا يكون
في كلام الناس واستعمالهم واللفظ المقيد بتعريف الاضافة وغيرها
يطابق المعنى الذهني المقيد بفهم تلك الحقيقة المعينة والحقيقة الخارجة
المعينة مطابقة لذلك المعنى المفهوم من هذا اللفظ المعين واللفظان
في حال تعيينهما المعنيان والذهنان والحقيقتان الخارجتان كل منهما
متميز بنفسه ليس فيه شركة مع غيره ولكن معنى قولنا انه يشاركه
ان الذهن يدرك ان هذا يشبه هذا من تلك الجهة وكل منهما لا يكون
في نفسه مطلقا بشرط الاطلاق ولا مشتركا بشرط الاشتراك ولكن المعنى

المطلق

المطلق يوجد فيه لا بشرط الاطلاق والمشترك يوجد فيه لا بشرط الاشتراك
بل مع تقييد وتخصيص ومن هنا قيل كما ان بين اللفظين اشتراكا
واشتباها فكذلك بين المعنيين اشتراكا واشتباها لكن هذا القدر المشترك
المشتبه ليس داخلا في حقيقة احدهما الخارجة الموجودة اصلا مشتركا
اذ الذي فيها لا يكون مطلقا بشرط الاطلاق وانما هو مطلق لا بشرط
الاطلاق بل هو مقيد بالتعيين ولا مشتركا بشرط الاشتراك وانما يقال هو
مشترك للمشابهة بل هو مختص متميز ثم اذا عرف هذا فجميع الاسما
المتواطية وانها اذا دلت على معنيين لم يكن في الوجودين الخارجين اشتراك
بل كل منهما متميز بنفسه فلا يكون اسم هذا اسما لهذا ولا اسم هذا اسما
لهذا فقط من جهة التعيين فان اسم المعين لا يكون اسما لغيره لكن ان كان
المسميان متماثلين في بعض الامور صح ان يسمي احدهما باسم الاخر
ويقال هو سمية فان التماثل في الحقيقة يوجب التماثل في اسمايها فيقال هذا
الانسان سمي هذا وهذا السواد سمي هذا وهذا العالم سمي هذا
وهذا العالم سمي هذا لتماثلهما في العلم وان تفاوتا في غيره واما ان كان المسميان
غير متماثلين في شي من الاشيا لم يكن احدهما سميا للاخر بحال فاذا قيل لجبريل
الروح وقيل للدابة فيها روح ولم تكن روح الدابة سميا لجبريل الذي
اسمه الروح واذا عن جبريل مطاع ثم امين وقيل عن بعض اهل
الكتاب ان تامنه بقنطار يؤده اليك لم يكن هذا الامين سميا لذلك الامين
وذلك لان اللفظ دل على ان بينهما تشابها من بعض الوجوه وهو اصل
الامانة واما حقيقتها وصفتها وقدرها فلم يشتبها فيه فلم يكن اسم
احدهما دالا على مثل مدلول اسم الاخر فلم يكن سميا له فالله تعالى هو
السميع البصير فاذا سمي بعض مخلوقاته باسم السميع البصير لم يكن مدلول اسمه
تعالى مثل مدلول اسم ذلك المخلوق بوجه من الوجوه فاذا لم يكن مسمي
السميع البصير الذي هو الذات والصفة مثل ذلك لا الذات مثل الذات
ولا الصفة مثل الصفة امتنع ان يكون اسم هذا يقال على هذا وان يكون
سميا له وان كان من مدلول الاسمين تشابه من بعض الوجوه والتشابه
ليس هو التماثل بوجه من الوجوه فان الشي قد يشبه ما يكون مخالفا له اذا

الألوكة
www.alukah.net

من شيئين الا وقد يشتبهان ولو في ادنى شيء ولو ان في احدهما غير
الاخر وخلافه وضده ومثل هذه المشابهة لا توجب تماثلا بوجه
من الوجوه بل مع الاشتباه من كل وجه يقتضي عدم احدهما وقد
قدمنا كلام العلماء في ذلك وامتناع تحققهم ان ينفوا المشابهة من كل وجه
وان ينفوا المماثلة من كل وجه فهو سبحانه ليس له شبه ولا له مثل بوجه
من الوجوه اذ التماثل بوجه من الوجوه منفي عن الله تعالى بالنصوص
المتقدمة وبالامثال العقلية المضروبة التي ارشد اليها النص اذ لو
حصل له مثل في بعض الامور لزم الجواز او الوجوب والامتناع من كل الوجه
فيلزم التناقض والمحالات المتقدمة واما الاشتباه في بعض
الامور فلا يستلزم الاشتراك في الوجوب والجواز والامتناع بل لا بد منه
بين كل موجودين فمن فهم هذه المعاني الشريفة فهم ما بين الاسما
من التواطي والافتراق وما بين مدلولها من التباين والاشتباه وعلم
ان الله ليس له مثل ولا سمي لا في نفسه ولا في شيء من صفاته ولا من
افعاله ولا يسمى احد بشيء من اسمايه اصلا وعلم ان المخلوق اذا سمي
بالاسم التي تصير اسما لله اذا اضيفت اليه فلم يسم باسما الله ولا
بمثل اسما الله ولا صار شيء من الاشيا سميا لله ولكن الاسم الذي
يكون اسما لله اذا سمي الحق به بصير اسما لهذا اذا سمي به وكونه يصير
اسماله اذا سمي به لا يوجب كونه سميا له وانما لاجل ما في اللفظين من
التواطي دلا على معنى مشترك وهو ما بين الحقيقة من تشابه في
معنى الاسم وانه بثبوت ذلك المعنى الذي ياخذه الذهن مشتركا
يكون الموجود موجودا والا كان معدوما كما قد بيناه لما تكلمنا على الوجود
الواجب والممكن وبهذا تبين لك بان المشبهة اخذوا هذا المعنى
وزاد وا فيه على الحق فضلوا والمعطلة اخذوا نفي المماثلة بوجه
من الوجوه وزاد وا فيه على الحق حتى ضلوا وان كتاب الله دل على الحق
المحض الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة وهو الحق المعتدل
الذي لا انحراف فيه فالنفاة احسنوا في تنزيه الخالق سبحانه عن
التشبيه او التمثيل بشيء من خلقه بوجه من الوجوه فانا المماثلة بوجه

من

من الوجوه تقتضي التناقض والمحال فانه لو فرض ان الله تعالى يماثل شيا
من خلقه في علمه او ارادته او غضبه او خلقه بوجه من الوجوه كان ذلك
الوجه الذي تماثلا فيه يقتضي ان يجوز على احدهما ما يجوز على الاخر
ولهذا جاءت هذه الشريعة باكمال التوحيد والتحميد والتنزيه فقال
رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما شا الله وشيت فقال اجعلتني
لله ندا قل ما شا وحده فجعله مماثلة له في المشية جاعلا له ندا مع انه
لا بد بين المشيتين من قدر مشترك واشتباه ولكن ليس بينهما تماثل
وتناد ولهذا قال تعالى ام جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه وقال تعالى
ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا بعوضة وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة الذين يضاهون
بخلق الله حيث فعلوا مثل ما فعل ولوانه في الصورة فقط ولهذا يقال
احيوا ما خلقتم وقال من صور صورة كلف ان ينفخ فيها الروح وليس بنافخ لانه ما فعل
مثل الصورة في الجسم صار مضاهيا اذ هيا يخلق كخلق الله فقيل له حقق
التماثل فانك فيها الروح ولست بفاعل فان التماثل من كل وجه محجوز عنه
فنهي عن المماثلة من بعض الوجوه لانه طلم باطلها التماثل من غير تحقيق ومع هذا
فالاسا ذ لما قال لها اسما و لله تعالى اسما تسمى هي بتلك الاسما مثل والسما
بنيناها بايد ومثل قوله صنع الله الذي اتقن كل شيء ومثل قوله وكتبنا له في
التورية من كل شيء ولم يكن العبد ظالما بهذه الافعال لانه لم يماثل الرب فيها
بوجه من الوجوه وانما اشتباه من بعض الوجوه التي لا توجب محذورا بل
تحقق الثابتة في الموضعين فتدبر هذا تتفاوت المماثل بين الخالق
والمخلوق من كل وجه ولم تكن المماثلة ثابتة من كل وجه وتدبر ثبوت الحقايق
التي لا بد ان يكون بينها قدر مشترك واشتباه سمي احدهما من تلك الجهة
بالاسم الذي تسمى به الاخر وان لم يكن احدهما اسم الاخر اذ الاسم هو مجموع
المجرد والمقرون به من الاضافة او لام التعريف وانما وجود الاسم المجرد في الموضعين
مثل وجود المضافين في موضعي الاضافة وحد جزء المركب في موضعي التركيب
فاذا قلت غلام زيد وغلام عمر ولم يكن احد الاسمين هو الاخر ولم يكن احدهما
سمي الاخر وابن عبد الله وعبد الرحمن من عبد شمس وعبد اللات ولهذا غير

النبي صلى الله عليه وسلم اسما من كان متعبدا لغير الله من المسلمين مثل من كان اسمه
عبد شمس وعبد اللات فسماهم عبد الله وعبد الرحمن لم يكن احد المسميين مثل الاخر
واذا كان شخصان احدهما اسمه عبد الله والاخر عبد شمس لم يكن احدهما مسمى
للاخر ولا مسميا باسمه وان كان لفظ الاسمين متفقا في النصف وهو لفظ المضاف
لا ان الاضافة الاختصاصية قطعت ذلك الاشتراك الذي كان موجودا قبلها فاذا
قلت سميع وسميع فهو كقولك عبد وعبد واذا قلت الله السميع البصير والانسان
السميع البصير كان هذا التباين اعظم مما قولك عبد الله وعبد شمس اذ التعريف
باللام كالتعريف بالاضافة فتدبر هذا فان هذه المعاني الشريفة نافعة في
هذه المسايل التي كثر الاضطراب فيها والمسترة احسن في نفي المماثلة من كل وجه
واثبات المباينة والمخالفة كما تقدم ولكن اذا اراد ان ينفي المعاني الثابتة لله
في نفس الامر وينفي حقيقة اسمايه لما في ذلك من نوع الاشتراك في الاسم واشتباه
في المعنى كان مبطلا معطلا كان الذي كذب به من الحق ونفاه قد يكون اعظم
كذبا منه من الباطل ونفاه والمثبتة احسنوا في اثبات حقيقة الله بما له من الصفات
الذي لا يكون هو الا اياها وفي اثبات اسمايه الحسنى المبنية لحقايق صفاته فانه لو لا
ثبوت هذه الصفات التي هي العلم والقدرة والكلام ونحوها لم يكن مريدا ولا خالقا ولو لا
ثبوت اصل الصفات لم يكن موجودا اصلا واثبات ما لا صفة له اثبات ما لا وجود له وهو
اثبات معدوم وله كانت النفاة مطلقة متناقضة معتلة له بالمعدوم اما متناقضون
حيث اثبتوا وجودا وسحقوا وجوده الا بما يستحق الوجود الا تم وصفته بما يستلزم
ان لا يكون شيا صلا فضلا عن ان يكون قايما واحدا ومثله بالمعدوم فكان اصل من مثله
بالوجود الشر بوجوه كما سيأتي مفصلة شنوا صفاته باقرارهم واعترافهم وعطلوا
حقيقة ما هو ثابت له واذا كان ثبوت اثبات لشيء لا يوجد ما يوجب
انتفاءه في نفسه فوقع الصفات الحقيقية في وجود معنى مشترك لو شاركه
في الوجود اشتركا في حقيقة نفسه ثم هذا يقتضي عدمه واذا اقتضى نفسه فلهذا
كان استقبال مشتركا فيما اثبت له من حقيقة موجود علما قادرا وقد علم
انه حقيقة موجود علما قادرا لم يثبت وجود خصايص الوجود ولعلة خصايص
العلم والقدرة خصايص القدرة وهو ان يكون وجود ما اثبت نفسه غير غيره من
الموجودات وان حقيقة اثبات تثبت لعلة خصيصة الادراك

والتمييز والمعرفة والاحاطة بالاشياء وقدرته خصايص القدرة التي بها يفعل الافعال والا لم يثبت
موجودا ولا عالما ولا قادرا ومتى اثبت هذه الخصايص من المعلوم بالضرورة ان احدنا منها
نصيبا فان لنا وجودا وعلما وقدرة نا ثبوتا محققا وتمييز وقدرة بها نفعل فان عرفت هذا
المطلق المشترك فقد عطلت الذات بالكلية وجعلتها معدومة بعد اقرارك بوجودها وهذا
تناقض وهذا المعنى قد اوضحناه فيما تقدم فاذا اراد المثبت وجعل بينه وبين غيره مماثلة
من بعض الوجوه مثل ان يجعل علمه او قدرته او رحمته او غضبه مثل شيء من صفات خلقه
او يجعل ذاته مثل ذات شيء من خلقه من ذهب او فضة او بلور او لحم كما يحكى عن بعض
المشبهة انه قال هو سبيكة من فضة وعن بعضهم انه قال هو لحم ودم ونحو ذلك وهذا غلو
في اثبات الحقيقة ادته الى القائل الموجب لنقصه وعدمه فقد تبين ان الغلو في تحقيقه حتى
يمثل بعض المخلوقات يوجب الحكم بالعدم وان الغلو في تنزيهه حتى يرفع ما يعلم من القدر
المشترك المشتبه يوجب العدم فكل من غلا في الغلاة في النفي والاثبات يستلزم قوله عدمه
لكن النفاة يلزمهم الحكم بالعدم ابتداء من اول امرهم اذ لم يثبتوا شيا محققا اصلا وانما
ظنوا انهم اثبتوا والمثبتة يلزمهم الحكم بالعدم انتهاء في آخر امرهم لانهم اثبتوا شيا محققا
واعتقدوا اعتقادا صحيحا ثم زادوا في تمثيله ما يوجب ان يكون في طبقة المعدوم فلهذا كان
الاولون اصل ولكن ليس في المسلمين ولا من متبعي الصابئة من يبتدئ بالنفي بل لا بد ان يثبت
اولا الصانع ويقربه ثم يبالغ اما بالنفي واما في الاثبات فلهذا لم يصرح احد من متبعة الصابئة
بعدمه وان كان قوله مستلزما لذلك وهو للنفاة اللوم ابلغ لزوما والسبق لزوما واوضح
لزوما فهذا هذا والله اعلم فان قلت ان الفقها الاصليين وغيرهم نازعوا في المساواة
هل يقتضي نفيها من كل وجه او يقتضي نفي كمال المساواة على قولين وميل اصحاب ابي حنيفة وكثير
من اهل الاصول الى عدم العموم وميل كثير من اصحاب الشافعي واحمد الى ان هذا يوجب رفع جميع
المساواة فلا يكون الكافر كفوا للمسلم ومساويا له في باب الدما فلا يكون دمه كدمه ولا يكون
كفوا له واذا انتفت المساواة والمكافاة لم يقتل المسلم بالكافر الذمي ويقول طوايف ان
هذا يوجب انتفا المساوات المطلقة والاشتراك في بعض الاحكام لا يمنع انتفا المساواة بدليل
انهما يستويان في كثير من الاحكام وانتم قد ذكرتم ان ما نفاه الله عن نفسه ما الكفو
والسمي والمثل يقتضي نفي ذلك من جميع الوجوه وهذا الاصل اللفظي متنازع فيه وكلا من
تقرير ذلك بالدليل قلت هذه المسالة تشبه دخول حروف النفي والنهي على الفاظ العموم مثل
ان يقول لا كلمت القوم ولا اكلت هذا الرغيف فهل يعم المحلوف عليه او مثل قوله تعالى

لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة هل توجب اللغة عموم النفي او نفي العموم وفي هذا الاصل قولان في مذهب احمد وغيره ومسلم اليمين مشهورة عند الفقها والمشهور في مذهب احمد وهو مذهب مالك انه يحنث بفعل بعض المحلوف عليه والرواية الاخرى عنه وهي ظاهر مذهب ابي حنيفة والشافعي انه لا يحنث بفعل بعض المحلوف عليه عندهم كلهم مع الاطلاق فاما مع قرينة العموم او الخصوص فقد يبقى نزاع مثل اذا قال لا اكلت الخبز او اللحم او قال لا اكلمت الرجال فهنا يحنث بفعل البعض اذ المراد هنا عموم النفي بل مطلق النفي ولو قال والله لا بيت هذا الحايط وحدي ولا نقلت هذا التراب وحدي ما تبين القرينة انه امتنع من فعل الجميع لم يحنث بفعل البعض اما في الاصول فيذكرون القولين مطلقا في مذهب احمد وغيره ولا يثبت لاحد في ذلك قول مطرد فان ما في القرآن من ذلك قد يراد به عموم النفي كقوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وغير ذلك وانما قلنا انها مثلها لان اثبات المساواة المطلقة تعم المساواة في كل شيء عند الاطلاق فان عموم الكل لاجزايه كعموم الجمع لافراده اذ لا فرق بين ان يكون المشمول الذي تناوله اللفظ افرادا متباينة او اجزا متصلة او صفات قايمة كعموم قوله تعالى وجوهكم وايديكم لجميع اجزا اليد والوجه اذا عرف ذلك فنقول المساواة المثبتة تكون مطلقة وتكون مقيدة فاذا كانت مقيدة ببعض الاشيا لم يكن النفي الا لذلك فقط ان كانت مقيدة بمساواة في شيء معين بقيد النفي به وان كانت مطلقة في المساواة في اي شيء كان النفي لذلك وان كانت عامة المساواة في كل شيء فالعام المنفي نفيا مطلقا هو مورد النزاع والمشهور القولين عند اصحابنا وعليه اكثر الفقها انه لعموم النفي فينتفي المساواة من كل وجه كما ان النفي الداخل على صيغ العموم يعم ما يعم الاثبات وذلك ان النفي ناقض الاثبات فيرفع ما وجه الاثبات ولهذا كانت النكرة في سياق النفي تعم لانها مسمى اللفظ النكرة مثل وجه وفرس هو الحقيقة المطلقة فاذا نفيت فقيل لا رجل في الدار ولا يقتل مسلم بكافر ولا فرس ولا جمال في الحج ولا بغي بعدي ولا اله الا الله اقتضى نفي الحقيقة والحقيقة المطلقة لا تنتفي الا بانتفا جميع افرادها والا فاي فرد ثبت كانت الحقيقة المطلقة ثابتة بثبوته فلهذا كانت النكرة في سياق العموم تعم اما عموما قطعيا اذا تيقن ان اللفظ لنفي الجنس مثل ان يقترن بها النافية للجنس مظهرة او مقدرة كقوله وما من اله الا اله واحد وقوله لا اله الا الله واما عموما ظاهرا اذا كان اللفظ ظاهرا في نفي الجنس ويجوز ان يراد به نفي الواحد منه كقولك ما كلمت رجلا ولا اكلمت رغيفا اذ يجوز ان يقال بل رجلين وبل رغيفين

وان

وان كان اللفظ لنفي الواحد من الجنس كقولك ما كلمت رجلا بل رجلين ولا اكلمت رغيفا بل رغيفين انتفا العموم لان المنفي واحد من الجنس واذا كان كذلك فمن المعلوم ان اثبات اللفظ العام لافراده لا يشترط فيه التعميم فقد يكون اثبات لبعض الافراد مشروطا باثباته لبعضها بل فالواو واو التثنية والجمع في المؤتلفات كحروف السوق في المختلفات فاذا قال جا الرجال فقال القائل ما جا الرجال فقد نفى ما اثبته وهو انما اثبت الحكم مجردا والعموم جا من الصيغة فالنفي ينفي الحكم مجرد الا ينفي مجرد العموم بخلاف ما لو قال ما جا كل القوم او ما جا كل واحد منهم ولو قال اطعمتهم كلهم او غسلت وجهي كله فقال ما اطعمتهم كلهم وما غسلت وجهك كله فهنا لما كان المقصود الاول اثبات نفس العموم لا الحكم الذي عرض له العموم كان مقصود النافي العموم لا نفي الحكم الذي عرض له العموم اذا النفي مطابق الاثبات وكذلك الحقايق المركبة الذي ينتفي مجموعها بانتفا جزء من اجزايها اذا نفيتها لم يلزم نفي جميع اجزايها بل يكفي انتفا جزء من اجزايها وان نفي بعض اجزايها ولهذا صح عند السلف ومن اتبعهم ان يقال عن الفاسق الملي ليس بمومن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن ولا يكون ذلك نفيا لجميع اجزاء ايمانه فان الايمان عندهم وان كان هو لفا من امور واجبة فاذا انتفى بعضها انتفى الايمان الواجب الذي به يستحق الجنة وينجو من النار ولم ينتف جميع اجزايه الايمان بل قد يبقى معه بعض اجزايه الذي ينجو بها من النار بعد دخولها كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فان الايمان عندهم ينقص ويزول بالكلية كما انه قد يزيد على اكمال الواجبات بالطاعات فلهذا قالوا يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون او بضع وستون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان ومن خالفهم من الخوارج والمعتزلة والمرجية والجهمية فانه عندهم لا ينقص الا ان يزول بالكلية ظنا منهم ان المركب متى زال بعض اجزايه زال جميعه ولم يعلموا ان الصلاة والحج وغيرهما من المركبات التي يتناول اسمها لاركانها وواجباتها قد يزول بعض واجباتها ولا يزول اصل الاسم ولا ذي عبادة واحدة فكيف الايمان الذي به حق كل طاعة فاذا قلنا ليس بمومن دل على زوال بعض ما يجب من الايمان لا على زواله كله كما يقوله هو لا وكذلك اذا قال الشارع ما فعل ذلك فليس منا اقتضى خروجه عن هذه الحقيقة وفي

لا نفي الجنس صح

النفي

ومستحبا تها

الايمان الواجب التي يستحق به الثواب دون العقاب لا يقتضي خروجه عن جميع اجزاء
الايمان كما يقوله الخوارج والمعتزلة ولا يقتضي نفي الشطوعات حتى يقال معناه ليس
مثلنا وليس من خيارنا كما يقوله المرجئة والجهمية فاذا كان النفي مقابلا للاثبات
فاذا اثبت المثبت نفس العموم رفعه النفي كما في قوله اكلت هذا كله فقال الثاني ما اكلت
هذا كله وان اثبت الحكم للمذكور بصيغة العموم كان النفي نفيا لذلك الحكم المذكور بصيغة
العموم فاذا قال جاء القوم قال النافي ما جاء القوم ثم هنا ثلثة احتمالات اما ان يقال النافي
نفى اثبات الحكم للمذكورين ولم يتعرض لنفيه عن بعضهم لا باثبات ولا نفي بل نفى عين ما اثبته
المثبت فيعلم انه حكم انه لم يجيء المذكورون جميعهم ويكون قد سكت عن بعضهم مسكوتا عن نفيه واثباته
واما ان يقال بل نفى العموم وافاد بطريق المفهوم ثبوت البعض فهذا انما يكون اذا كان النافي
اثبت العموم كالقديم واما ان يقال نفى الحكم من كل عين اثبته له دون اقتضاء الاثبات العام
بالسلب العام فهذا الاحتمال والاول هما القولان المذكوران في المسئلة واما ان يقال سلب
الحكم سلبا عاما او سلب هو السلب للعموم فقط فهذا لا يكون الا في مواد معينة ومع القرينة
بل يقال سلب الحكم سلبا عاما او سلب الحكم العام الذي اثبته المثبت لانه سلب عمومه
فقط لكن يقال ليس في نفس الامر الا السلب العام او سلب العموم اذ سلب الحكم العام اما
ان يكون مع العموم في السلب او لا معه فان كان مع العموم في السلب فهو القسم الاول
وان كان بلا عموم في السلب فقد سلب عموم السلب وهذه المسئلة تشبه الاستثناء
من الاثبات والنفي هل هو لاثبات النقيض او لرفع الحكم والاقوى في عامة الكلام اذا
لم يكن فيه قرينة يقتضي ان المراد رفع العموم وهو سلب العموم فان المراد عموم
السلب والنفي وذلك لان اعراض المتكلم عن ذلك لا يكاد يقع فلا بد ان يقصد المتكلم
احد الامرين وسلب العموم فقط لا بد له من قرينة في النفي كما انه لا بد له من قرينة
في الاثبات فبقي النوع الاخر وهو انه نفى ما اثبته اللفظ الاول والاول اثبت الكل والثاني
نفى الكل وهذا ايضا يوجب التقابل بين الاثبات والنفي فانه اذا كان الاثبات
يثبت الحكم لكل واحد فالنفي ينفيه عن كل واحد والا لم يكن النفي قد نفى ما اثبته
الاثبات وهذا واضح فان الاثبات اثبت حكما حاصلا للجميع فلا بد من رفع هذا
الحكم ولا يرتفع الا برفعه عن الجميع كما قيل في نفي الجنس فان الحكم الذي اثبته
الاثبات هو جنس فاذا قلت قام القوم اثبت جنس القيام للقوم انهم لما قالوا
النكرة في سياق النفي تعم دخل في ذلك نكرات الاسماء والافعال فاذا قال لا يقتل

مسلم بكافر عم كل نوع من انواع القتل كما عم كل مسلم وكل كافر والفعل نكرة مطلقا
سواء كان فاعله ومفعوله نكرة او معرفة فاذا قيل جاء القوم او اسلموا فقيل ما جاءوا ولا
اسلموا كان المنفي هو الفعل الذي هو نكرة والنكرة في النفي تعم وهذه حجة جيدة بينة
والمفهوم في الاستعمال في الكتاب والسنة وكلام العرب يوافق ذلك الموالاة في جميعهم
ولذلك ما حرم الله الدم والخمر والربا وغير ذلك كان تحريما لافراده ولذلك الرجل اذا قال
لابنه لا تكلم هؤلاء او لا تخاصمهم او لا تاكل هذا الطعام او لا تاخذ هذه الدراهم
فهم جميع الناس من ذلك العموم ولذلك الحالفون اذا قال والله لا اكلم هذا الرجل
او هذا الطعام او لا اضرب هؤلاء او لا اعتدي عليهم فهم جميع الناس من ذلك
العموم وسببه والله اعلم ما ذكرناه من ان نفي النكرة التي لا تنتفي الا بانتفاء جميع
افرادها فاما اذا علم سبب النهي وعمومه فذلك يكون عموما من جهة فهم العلة
وهو عموم معنوي وهذا يقتضي في قوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
رفع المساواة من هؤلاء وكل واحد من هؤلاء هذا في نفي العام المطلق واما
النفي المبين فيه العموم مثل ان يقال ما جاءني منهم احد او ما جاءني من احد من هؤلاء
او ما جاءني هذا او لا هذا فهذا الاخير كما ان الذي قصد به نفي العموم فقط كاذب فيه ومثل
هذا يساوي هذا في كل شيء فيقال ما يساويه في شيء اذا تبين هذا فانا من المعلوم
ان احدا لم يثبت لله مثلا مطلقا ولا كفوا مطلقا ولا سميا مطلقا فلم يقل احد
من بني ادم ان للباري سبحانه من يساويه في جميع صفاته وافعاله فهذا اصل
والاصل الثاني انا قد قدمنا ان الند والمساوي والعدل اذا اطلق في جانب الله
فانما يراد به من جعل لله ندا في بعض الاشياء او جعل له عدلا في بعض الاشياء كقوله
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقوله انا كنا في ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وقول
النبي صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله ندا وهذا كالذي جعلوا لله شركاء اذا اشركوهم
معه في بعض الامور واما ان يجعل لله شريك يشركه في جميع خلقه وامره وهذا
لم يقله احد ولهذا قال ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من
شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي كخيفة
بعضكم بعضا فاخبر انكم لا تجعلون مما ملكتم شركاء كم فكيف تجعلون بعلوكي
شريكي وكانوا في تلبيتهم يقولون لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما

لعله له

ملك ولهذا نفى سبحانه قليل الشرك فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك فنفى تقييدا عاما لمسمى شرك
نكرة في سياق النفي ليبين ان الشريك المنفي عنه من جعل شريكا له في ادنى شيء من
ملكه فنفى الشريك كنفي الند والعدل فاذا كان الشريك في الند والعدل ونحو ذلك في
حق الله انما هو اسم لما اثبته الكفار ولهم لم يثبتوا ذلك الا في بعض الامور لا في
جميعها وثبت اطلاق هذه الاسماء في الكتاب والسنة وغير ذلك لما اثبت لغيره مثله
معادلة في شيء او مساواة في شيء او مشاركة في شيء علم ان مسمى العدل والند والشريك
في حق الله مطلق ولا يوجب المساواة في كل شيء كما تناول ما ادعيت له المساواة في اي
شيء كان وسبب ذلك ان هذه المسميات ليس لها حقايق خارجية فان الله تعالى
ليس له في نفس الامر من يصلح ان يكون عدلا او شريكا او كفوا او ندا ولكن لما صار في بني
ادم وغيرهم من يتخذ له الند العام من يعدل به بعض خلقه في بعض الاشياء في
ذلك فانفي هو لما في نفوس بني ادم ويلزم من نفي ذلك نفي الند العام لكن
ذلك لم يحتج الى نفيه ابدا الا ان احدا لم يثبته وليس له مسمى خارجي والاسما
انما توضع للصور الذهنية او للحقايق الخارجية فاذا كان المماثل له من كل وجه
ليس له وجود خارجي ولا اثبته احد في ذهنه واعتقاده لم يحتج ان يجعل له
لفظ يخصه ولكن هو ينفى عن الله بطريق الاولى لانه داخل في العموم او بطريق دلالة
اللحن والتنبيه فتدبر هذا فانه موضع شريف فهذا اقتضا ان نفي السمي والمثل
والند والكفو والشريك عن الله يقتضي نفي ذلك في كل الامور فليس له سمي في شيء من
الاشياء ولا مثل في شيء من الاشياء واما قولنا بين الوجودين قدر مشترك وهذا يقتضي
ان يكون وجوده مشاركا لوجود غيره فهذا لفظي اصطلاحي ليس هو الشرك المذكور
في القران فان القران نفى ان يكون في الموجودات من يكون شريكا لله فيما يستحقه
من خلقه وامره وعبادته وحده لا شريك له ولم ينف ان يخلق هو سبحانه مخلوقات
ويجعل لها صفات وانها تسمى باسماء توافق اسماءه فيعقل الذهن ان بين المسميين
قدرا مشتركا وذلك القدر المشترك ليس له مشاركة في شيء موجود اصلا في
خلق ولا امر ولا عبادة وانما هو في اعتباره ذهني كما يشارك اسمه السم بعض عباده
في بعض حروفه فالاشتراك بينه وبين عباده في بعض حروف الاسماء التي تقال بالجنان
وليس هذا شركا في حقيقة موجودة اصلا ثم هذا من نعمه وفضله فانه الذي

بل ح

خلق

خلق الانسان علمه البيان وهو الذي بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ولهذا قال
النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له ما شاء الله وشئت اجعلتني لله ندا وقال قل لما شاء الله
ثم شاء محمد واثبت المشيئة في مرتبة العبودة لا في مرتبة المنادة لذلك المخلوقات
لما اعطاها من فضله الوجود العيني كما قال خلق خلق الانسان من علق علم ايضا من
فضله العلم بها والتعبير عنها كما علم العلم به والتعبير عنه باسمائه فكان وجودنا
وحقايقنا من فضله كذلك علمنا بانفسنا وتعبيرنا عن علومنا تابع للعلم به والتعبير
عن علمنا به واسمائنا من اسمائه كما روى الربيع بن انس عن المسيح عليه السلام قال
يتكلمون باسمائه ويتقلبون في نعمائه ويكفرون بالائه فقد تبين ان الله تعالى ليس
له مثل ولا كفو ولا سمي بوجه من الوجوه وتبين ان ما اثبت له ما يماثله في بعض
الامور مثل من يقول من المحسمة هو قضة او كالقضة او لحم او دم ومثل من طلب من
المعطلة ان يكون له جنس من المخلوقات فهو لاء يطلبون كلاما وليس في ظاهر ايات
الله ما يوافق قول احد من هو لاء ومن ادعى ان في الكتاب والسنة ما يدل ظاهره
على التجسيم والتشبيه فقد افترى على كتاب الله وان وصف الله بذلك فقد افترى
على الله فالمشبه المثبت لذلك مفتر على الله وعلى كتابه والمعطل المتاول للكتاب
الله ظانا ان ظاهره كذلك مفتر على كتاب الله بل يجب ان يبين ان هذا ليس هو
ظاهره بل فيه نصوص كثيرة دلت بالمعقول ايضا كما دلت بالسمع على تنزيه الله عن
مماثلة المخلوقات بوجه من الوجوه فان قيل قد تقدم تصفيكم لاستدلال طا
يفة
بمثل قوله ليس كمثله شيء على ما يدعونه من نفي فهذا الجواب بعد الاستفسار هو
منع المقدمة الاولى اذ نفسه الجسم بما ذكروناه من المعنى المنفي بالنص والعقل وادعي
انه ظاهر الكتاب والسنة فان هذا لم يدل ظاهر الكتاب والسنة وهو ان قال ظاهر
النصوص ان صانع العالم متميز عن المخلوقات بائن عنها وان ذاته وحقيقته فوق
حقيقة المخلوقات وذواتها بحيث يرفع الناس ابصارهم وايديهم اليه وتعرج
الملائكة والروح اليه وعرج بالرسول اليه وتصعد ارواح العباد وان الناس يمكن
ان يروه يوم القيمة بابصارهم فوق رؤسهم ويشيرون اليه بايمانهم وايديهم وانه
فوق الامكنة كلها وانه خلق ادم بيديه اللتين هما اليدان وانه استوى فوق العرش
فانه تقع عليه وعلا عليه وذاته فوق ذات العرش ونحو ذلك وان له ذاتا حقيقة ليس
عدما ولا شيحا ولا خيالا بل حقيقته اعظم الحقايق وان كان لا يعلم ما هو الا هو

ولا يبلغ قدره غيره ونحو ذلك فان قال هذه المعاني وما اشبهها هي ظاهر النصوص
قلنا هذا مسلم لكن يمنع المقدمة الثانية وهو تركك هذا منتف واذا سماه من سماه
تشبيها وتجسيما لكن مجرد تسميتهم له بهذا الاسم لم يكن موجبا لتركه ما دل
على الكتاب والسنة ولا لترك ما علم بالفطرة والعقل واجماع السلف واتباعهم
لخلق اهل العلم والايمان فان هذا الاسم ان لم يكن مطابقا للمسمى كان كذبا
كتسمية قريش للنبي صلى الله عليه وسلم مذمما وتسميتهم له شاعرا وساحرا ومجنونا
ونحو ذلك مما يحدون بينه وبين المسمى به من اشتراك في امر من عوارض الله الرسالة
جعلوه شاعرا للمطابقة التي بين رؤس الاي ومجنونا لخروجه عن عقلهم وعادتهم
وساحرا لقوة تاثير كلامه في نفوس المستمعين فكذلك هؤلاء اذا سموا هذا تشبيها
وتجسيما لما فيه من اثبات حقيقة الرب وحقايق اسمايه وصفاته التي توافق
لفظها لفظ ما يوصف به العباد لم يضر ذلك اذا كان الله في نفسه ليس هو من جنس
المخلوقات ولا مماثلا لها في شئ من الاشياء وان كان هذا الاسم مطابقا لمسماه فانما يكون
مذموما اذا علم ذمه بالشرع او ببطلان المسمى بالعقل وليس في كتاب الله ولا سنة
رسوله ولا قول احد من سلف الامة ذم التجسيم حتى يكون الاسم مذموما في الشرع
وثبت معناه في حق الخصم ولا ايضا في الكتاب والسنة ولا لفظ من الايمة ذم التشبيه
بهذا التفسير بل الذين ذموا المشبهة من سلف الامة كانوا مثبتة للصفات وكانوا
لنفاتها اشد ذما والتشبيه المذموم عندهم هو المعنى الاول الذي ابطله المثبتة
ومنعوا دلالة النصوص عليه فحاصله ان لفظ التشبيه فيه اجمال فهو مذموم كما ذمه
السلف من ذلك وليس هو مذموم بالمعنى الذي ينفيه نفاة الصفات وكذلك لفظ التجسيم
في كلام المتاخرين لكن معه زيادة انه ليس ذكر في كلام السلف لا بنفي ولا باثبات بخلاف
ذلك اللفظ فانه ذكر بالامرين في كلامهم فان اخذ المناظر المعترض بنفي هذا المعنى
بما يذكره من الحجج العقلية تكلم معه في ذلك وبين له ان ما ينفيه النفاة من هذه المعاني
التي اثبتتها النصوص السنة وفطرت عليها العقول الايمانية لا ننتفي بما يذكرونه من
الشبه القياسية بالفاظ مجملة تظهر حقايقها عند الاستفسار كما يقال لمثل
هؤلاء النظار سوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار وسنعود ان شاء الله
الى تكميل هذا المقام فان المعترض لما اجمل ما ذكره من الحجج العقلية التي بها يدفع موجب
الكتاب والسنة لم يجز الطريق الى وجه بيان فسادها بالمناقضة بعد الاستفسار

احدهما

التشبيه

وجماع ذلك ما هو اقوى في العقل منها عند النظار لنظر سلامة القرآن و
الحديث عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين وبين ان ليس ظاهره
الكفر ولا الضلال كما يلزم حزب المعترض من جاهل الجهال ولا ان الرسول اهمل اصول
الدين وبيان معرفة رب العالمين كما يقوله طوايف من المبطلين ولا ان الرب مشبه
بالعدم والموات كما يصفه به النفاة ولا ان السلف الذين هم خيار القرون كانوا امين
كما يلزم به طوايف من المتكلمين ولا حول ولا قوة الا بالله ونحن نتكلم على التفصيل
في مواضعه ان شاء الله تعالى
امين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نقل عن شيخ الاسلام ابن تيميه رضي الله تعالى عنه انه قال اني اعرف من تخاطبه السباعات بما فيها من المنافع بما فيها وانما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ومنهم من يخاطبه الحجر والشجر ويقول هنيئا لك يا ولي الله فيفر الشخص عليه اية الكرسي فيذهب ومنهم من يقصد صيد الطيور فتخاطبه العصافير وغيرها فتقول خذني حتى ياكلني الفقرا ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الانسي ويخاطبه بذلك انتهى كلامه رحمه الله وقال الشيخ شمس الدين بن المنجى رحمه الله تعالى وسمعت شيخنا العلامه ابن قاضي الجبل قال سالت شيخنا شيخ الاسلام ابن تيميه فقلت له ياسيدي هؤلاء المشايخ بعضهم اذا بهم لهم مكاشفات وخرق للعادة بخلاف العلما فقال الشيخ مكاشفة علمهم بما يجوز وما لا يجوز وعلمهم بالرسول صلى الله عليه وسلم واحواله واحوال الصحابة رضي الله عنهم فهذا هو الكشف لو سالت الواحد من اولئك عن مسيلة في الاستنجا لم يفهمها او نحو هذا وكان الشيخ تقي الدين له من المكاشفات الرحمانيه ومنها انه كاشف العلامه ابن قاضي الجبل لما اتاه يقص عليه الرويا التي راها له فقال العلامه ابن قاضي الجبل كنت في حدود اشتغالي عند الشيخ رضي الله عنه فرايت في بعض الليالي في النوم وكان الناس يقولون النبي صلى الله عليه وسلم قاعد في مدرسة الشيخ ابي عمر فبادرت اليها واذا النبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المحراب وحوله الصحابة رضي الله عنهم واذا شيخنا ابن تيميه رحمه الله جالس الى جانبه والجميع حلقه واحده والشيخ رضي الله عنه يدرس والجميع يستمعون له ففرحت بذلك فرحا شديدا فاستحييت ان اجلس بين القوم فجلست خلفهم استمع فيقا يتكلم فمنه ما افهمه ومنه ما لا افهمه الى ان فرغ فاما فقبله النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه ثم اني سمعت بعض الصحابة يقول لبعضهم لبعض ما خالفه في مسيلة والجلاة فاستيقظت ولا اعلم اني فرحت فرحا قط اشد مني بهذه الرويا فاصبحت فنزلت الى الشيخ فاذ الخلق عنده والناس يزدحمون فوقفت قرآني فقال ادخل بشرط ان كل من راى رويا لا يقصها علينا في الله العظيم ما كان اطلع عليها احد من خلق الله ولم اقربها لاحد فلم استطع بنفسي في ذلك اليوم ومات ولم اقصها عليه انتهى كلامه رحمه الله تعالى ونفعنا به في الدنيا والاخرة والمسلمين وكتبه العبد الفقير الراجي الشفاعة من سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام عبد الغني بن خليل اللطفي الحسيني المقدسي غفر الله له ولوالديه ولمن نظر في هذا الكتاب ودعا له ولوالديه وللمسلمين بالمغفرة وذلك في اليوم الثامن عشر من شهر شوال سنة ثمانية وعشرين ومايه والف من الهجرة النبويه على صاحبها افضل الصلاة والتحيه تم ذلك بعون الله

وحسن توفيقه

والله اعلم

النهاية

شبكة الألوكة
www.alukah.net